البابا شنودة الثالث

ثمر الروح

THE FRUIT OF THE SPIRT

By H.H. Pope Shenouda III

Ist Print
Nov. 1996
Cairo

الطبعة الأولى
نوفمبر ١٩٩٦
القاهرة

الكتـــاب : ثـمـــر الـــــروح

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية – القاهرة ٠

الطبعة : الأولى نوفمبر ١٩٩٦

المطبعة الأنبا رويس الأوفست – العباسية – القاهرة ٠

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٦/١١١٠٦

I.S.B.N.977 - 5345 - 33 - 2

مقدمة

لابد للروح أن يكون لها ثمر فى الإنسان ، لأن السيد الرب يقول " من ثمارهم تعرفونهم " (مت ٨ : ٢٠) و أيضاً :

كل شجرة لا تصنع ثمراً ، تقطع و تلقى فى النار " (مت ٧ : ١٩) ٠

و الثمر الجيد هو ثمر الروح ، و ليس ثمر الجسد ٠

و الروح الإنسانية التى تصنع ثمراً ، هى التى تشترك مع الله فى العمل ، و تدخل فى " شركة الروح القدس " (٢كو ١٣ : ٤) ٠ و إن اشتركت روح الإنسان مع الروح القدس ، سوف تستطيع أن تشترك الجسد معها و تقوده فى العمل الروحى ٠

إذن ثمر الروح ، هو ثمر الروح التى قادت الجسد ٠ و صارت هى و هو تحت قيادة الروح القدس

ذلك " لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أبناء الله " (رو ٨ : ١٤) ٠

فهل المقصود بثمر الروح ، هو ثمر الروح الإنسانية ، أم ثمر الروح القدس ٠ الإجابة هى شركة الروح القدس مع الروح الإنسانية ٠ ذلك لأن الروح الإنسانية ٠ وحدها لا تستطيع وحدها أن تعمل شيئاً بدون شركة روح الله معها ٠٠ الإنسان هو هيكل لروح الله ، وروح الله ساكن فيه (١كو ٣ : ١٦) (١كو ٦ : ١٩) ٠

روح الله ساكن فى الإنسان و يعمل ٠ و لكن يلزم إستجابة الإنسان لعمل الروح فيه

وذلك بأن يشترك مع روح الله فى العمل

و هنا يأتى ثمر الروح نتيجة لهذه الشركة ٠٠ ذلك لأن الله لا يرغم الإنسان على عمل الخير ، بل لابد أن يعمله بإراته ٠٠ و الإ فقد العمل قيمته ٠ و لم تعد له مكافأة ٠

و قد شرح الرسول ثمر الروح فقال :

وأما ثمر الروح فهو : محبة فرح سلام ، طول أناة لطف صلاح ، إيمان وداعة تعفف " (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣)

و نحن نود فى هذا الكتاب أن نحدثك عن هذا كله ، فى إيجاز و تركيز ٠ لأن كل واحدة من هذه الثمار التسع ، قد تحتاج إلى كتاب خاص ٠ و قد اصدرنا لك كتاباً عن المحبة ، و آخر عن الإيمان و كان بودى أن أصدر لك كتاباً عن الوداعة ٠

و لكن رغبة فى تجميع الأفكار و عدم تشتتها ، نشرنا لك هذه الكتاب عن ثمر الروح كله معاً ٠

و نلاحظ أن كل ثمرة يمكن أن تتعلق بغيرها من الثمار ٠ لأن الحياة الروحية مرتبطة ببعضها البعض فى كل التفاصيل ٠

أتركك الآن أيها القارئ العزيز لكى تتأمل فى ثمار الروح ، ولكى تجعلها جميعاً ثمراً لحياتك مع الله و لعمل الروح فيك ٠

وليكن الله معك ، يعينك فى كل ما تفعله ٠

٣١اكتوبر ١٩٩٦

عيد القديس الأنبا رويس

البابا شنودة الثالث

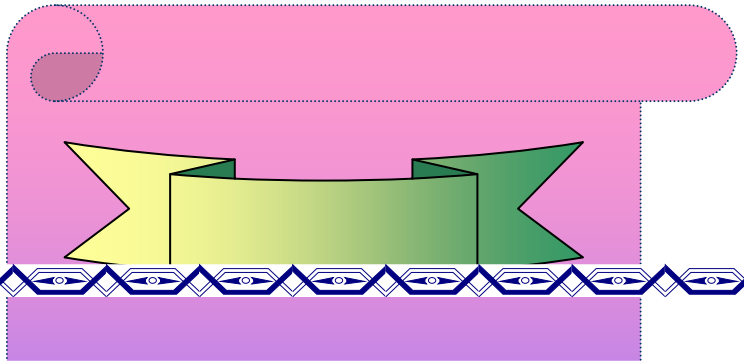

من ثمر الروح

-1-
المحبة

أود أن أبدأ معكم سلسلة جديدة عن " ثمار الروح) ٠ هذه التى شرحها الوحى الإلهى علـــى لســـان بولس الرسول قائلاً : " و أما ثمر الروح فهو : محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة لطـــف ، صـــلاح ، وداعة ، تعفف ٠ ضد أمثال هذه ليس ناموس " (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) ٠و يبدو واضحاً مـــن هـــذه الآية أن المحبة هى أولى ثمار الروح ٠ فلنتأمل إذن فضيلة المحبة أولى ثمار الروح :

المفروض فى الإنسان أن يكون هيكلاً للروح القدس ، و يكون روح الله ساكناً فيه ٠ و لقد أرسل لنا السيد المسيح الروح القدس ، لكى يسكن فينا إلى الأبد ، و لكى يعمل فينا و يعمل بنا و يكون لعمله فينا و يعمل بنا و يكون لعمله فينا ثمار ، هى ثمار الروح (١كو ٣ : ١٦) (يو ١٤ : ١٦ ، ١٧) و فى مقدمة ثمار الروح : المحبة و الفرح و السلام ٠ و لنبدأ بفضيلة المحبة و علاقتها بالفرح و السلام ٠

أهم ما أريد أن أكلمكم عنه فى المحبة ، هو محبة الله ، و محبة الخير ٠ و كل منهما تؤدى إلى الأخرى

محبة الله توصل إلى محبة الخير و الفضيلة ٠ و محبة الخير و الفضيلة توصل إلى محبة الله ٠ و كل منهما تقوى الأخرى ٠

إذا أحب إنسان الخير ، لا يكون له صراع مع الشر

كثير من الناس يضيعون حياتهم فى الصراع مع الخطية أو فى مقاومة الشيطان ، لكى يصلوا بهذا إلى حياة التوبة ٠ و حياة التوبة هى البعد عن الخطية التى يحبونها ٠

أما الإنسان الذى يحب الخير ، فقد أرتفع فوق مستوى التوبة ، و فوق مستوى الصراع مع الخطية٠

عبارة الجسد يشتهى ضد الروح ، و الروح يشتهى ضد الجسد " ، هى عبارة خاصة بالمبتدئين ، الذين يجاهدون ضد الجسد غير الخاضع للروح ٠ أما الجسد النقى ، البار ، الذى يحب الخير ، فهو لا تشتهى ضد الروح ٠ (غل ٥ : ١٧) ٠

الإنسان الذى يحب الخير ، لا يجاهد للوصول إلى التوبة ، إنما كل جهاده هو للنمو فى محبة الله و محبة الخير ٠

إنه جهاد إيجابى ، و ليس جهاداً سلبياً ٠٠ إنه أنتقال من درجة فى القداسة إل درجة أعلى منها ٠

إنه جهاد لذيذ بلا تعب ٠٠

إنما يتعب فى جهاده ، الإنسان الذى يقاوم نفسه ، نفسه التى لا تحب الفضيلة ، بل تحب الظلمة أكثر من النور " (يو ٣ : ١٩) ٠

أما الذى يحب الخير ، فقد دخل إلى راحة الرب ، دخل إلى سبته الذى لا ينتهى ، يتدرج فيه من خير إلى خير أكبر ، بلا تعب ، بلا تغصب

إن فضيلة " التغصب " ليست للقديسين يحبون الخير ، فالذين يحبون الخير ، لا يغصبون أنفسهم عليه ، بل يفعلونه تلقائياً ، بلا مجهود ٠

الذى يحب الخير ، لا يرى وصية الله ثقيلة ، بل يحب ناموس الرب " فى ناموس الرب مسرته ، و فى ناموسه يلهج نهاراً و ليلاً " ٠

صدق يوحنا الرسول عندما قال " ووصاياه ليست ثقيلة " (١يو ٥ : ٣) ٠ إننا نشعر أن وصايا الرب ليست ثقيلة ، حينما نحبها ، و نتعنى بها و نقول " وصية الرب مضيئة تنير العينين ، فرائض الرب مستقيمة ، تفرح القلب " (مز ١٨) ٠

إن الذى يحب الرب و يحب الفضيلة ، قد ارتفع فوق مطالب الناموس ، و دخل فى الحب ٠ إنه يفعل الخير ، بلا وصية ، بل بطبيعته الخيرة ٠ ليس هو محتاجاً إلى وصية تدعوه إلى الخير ٠

إنه يفعل الخير ، لأن الخير من مكوناته ، كصورة لله ٠ يفعل الخير كشئ عادى ، طبيعى ، كالنفس الذى يتنفسه ، دون أن يشعر فى داخله أنه يفعل شيئاً زائداً أو عجيباً

ولهذا فإنه لا يفتخر ، إذ أنه فى نظره شئ طبيعى ٠٠

أما الذى لا يحب الخير ، فإن وصية الله ثقيلة عليه ٠ لذلك فكثيراً ما تكون بينه و بين الله عداوة !! يشعر أن الله يسلبه لذته (الميالة إلى الخطية) ٠ و يشعر أن وصية الله تقيده ، و تحاول أن تسيره فى طريق لا يريدها ٠٠ و هكذا يرى أن طريق الله صعب ، و أنه لا يسير فيه إلا مضطراً ٠

من هذا النوع الذى لا يحب الخير ، الإنسان الوجودى الملحد ، الذى يرى أن وجود الله ، عائق ضد وجوده هو ٠٠

أى أنه لا يشعر بوجوده إذا آمن بوجود الله ، و لذلك يقول " الأفضل أن الله لا يوجد ، لكى أوجد أنا" كل ذلك لأنه لا يحب الخير ٠ و عدم محبته للخير أوصلته إلى عدم محبة الله ٠ لهذا فإن الأبن الضال ، عندما أراد أن يتمتع بحريته و شخصيته ، ترك بيت أبيه ٠٠! (لو ١٥ : ١٣)

أما الإنسان الذى يحب الخير ، فليست بينه و بين الله عداوة ٠ لأنه يوجد اتفاق بين مشيئته و مشيئة الله ٠

إنه يحب الله ، و يجد فيه مثالياته العليا ، و يحب فيه الخير الذى يشتهيه ٠ و يصبح الله شهوته ، و هو لذته ٠

الإنسان الذى يحب الخير يعيش فى فرح دائم و فى وسلام ٠٠

و كما يقول الكتاب " افرحوا فى الرب كل حين ، و أقول أيضاً افرحوا " ٠ إنه يفرح بالرب ، لأنه يجد لذته فى المعيشة معه ، و يجد أن مشيئة الله هى مشيئته ، و أن مشيئته هى مشيئة الله ٠

متى إذن يبدأ فى أن يفقد محبة الله و محبة الخير ؟

لما يبدأ فى معرفة الشر ، و فى مذاقته ، و فى الإلتذاذ به ٠

و هذه هى التجربة التى أوقع فيها الشيطان الإنسان الأول ٠ كان آدم و حواء لا يعرفان إلا الخير ، فأدخلهما فى معرفة الخير و الشر ٠ أى أضيفت إلى معرفتها للخير ، معرفة الشر (تك ٣ : ٥) بدأ الإنسان يختبر الشر ، و تكون بينه و بين الشر علاقة و عاطفة ٠

هناك أشياء من الخير للإنسان ألا يختبرها ٠ و عن هذه قال الكتاب " الذى يزداد علماً يزداد غماً ط (جا ١ : ١٨) ٠

قال الشيطان لحواء " يوم تأكلان تنفتح أعينكما" ٠ و كان خيراً لهما ألا تنفتح أعينهما على ذاك اللون من المعرفة ٠

يا ليت أن الإنسان لا يعرف سوى الخير ، حينئذ يعيش سعيداً ٠ يعيش فى محبة للناس ، لأنه لا يعرف إلا الخير الذى فيهم ، و ليس غيره

سيأتى وقت ، فى الأبدية السعيدة ، حينما نتقبلاً ثمرة معرفة الخير و الشر ، ولا نعود نعرف سوى الخير فقط ، و ننسى معرفة الشر ٠

سيمحو الله من ذاكرتنا كل الشر الذى رأيناه تحت الشمس ، و لا يبقى فينا سوى الخير وحده ، نعرفه ، و نتأمله ، و نختبره ، و نذوقه ، فنزداد حباً له ٠٠ و نمارسه بالحب ٠

نحن لا نفعل الخير مضطرين ، و لا مأمورين ، و لا متغصبين ، و إنما نفعل الخير حباً فى الخير ٠

تأكد أنه عندما يزن الله أعمالك فى الأبدية ، ليرى ما فيها من خير ، سيزن الحب الذى فيها ، و لا يأخذ الله من أعمالك سوى الحب فقط ، و لا يكافئك إلا على ما فيها من حب ٠

كيف يطبق هذا المبدأ فى حياتنا و فى أعمالنا ؟ خذ الخدمة كمثال : إنها ليست مجرد نشاط أو تعب أو عظات ، إنما : أنت تخدم و أنت تحب الناس ، و تحب خلاصهم ، و تحب بنيان الكنيسة و الملكوت ؟ و تحب الله الذى يحبهم ، و الذى تريدهم أن يحبوه ٠٠ تأكد أن الله سوف لا يأخذ من خدمتك سوى الحب ٠٠

و هكذا ينجم فى الخدمة ، من يراها حباً ٠ حب الله و الناس يقوده إلى خدمتهم ٠ و كلما يخدمهم يزداد حباً لهم ، فيزداد خدمة لهم ٠ و نفس الوضع نراه فى الصدقة ٠٠

إنها ليست مجرد طاعة لوصية ، فالكتاب يقول " المعطى المسرور يحبة الرب " ٠ ليس مالك الذى تعطيه هو الذى يحسب لك عند الله ، و إنما الحب ، الحب الذى يرتفع فوق مستوى العشور و البكور و النذور ، و فوق مستوى الأرقام ، و يعطى بسخاء و لا يعبر ٠

أولى ثمار الروح القدس هى المحبة ٠ لذلك عندما عاتب الرب ملاك كنيسة أفسس ، و دعاه إلى التوبة ، لخص عتابة كله فى عبارة واحدة ، لم يذكر فيها خطية معينة ، إنما قال : " عندى عليك

أنك تركت محبتك الأولى " (رؤ ٢ : ٤)

من أجل هذه المحبة قال الرب " يا ابنى أعطنى قلبك " ٠ و إن أعطيتنى هذا القلب ، فحينئذ " ستلاحظ عيناك طرقى " فتكون إطاعة الوصايا هى نتيجة طبيعة للمحبة (أم ٢٣ : ٢٦) ٠

كثير من الناس سلكوا فى حياة التوبة من الخارج ، و لم يسلكوا فى الحب الذى من الداخل ، فأصبحت بينهم و بين الله علاقات و ممارسات و طقوس ، و ليس بينهم و بينه حب ، ففشلت حياتهم ٠٠

لما سئل السيد المسيح " أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ " ٠٠ أجاب إنها المحبة يشطريها : تحب الرب إلهك من كل قلبك ٠٠ و تحب قريبك كنفسك ٠٠ بهذه المحبة يتعلق الناموس كله و الأنبياء (مت ٢٢ : ٣٦ – ٤٠) ٠

كثيرون سيقولون له فى اليوم الأخير " يا رب بإسمك تنبأنا ، و بإسمك أخرجنا شياطين ٠٠ (مت ٧) ٠ و لكنه سيترك كل هذا و يسألهم عن الحب الذى فيهم ٠

إنها ليست مسأله معجزات و مواهب ، فما أكثر الذين هلكوا على الرغم من مواهبهم ٠ لذلك فإن الرسول بعد أن تحدث عن المواهب الروحية ، قال " أريكم طريقاً أفضل " ٠٠ و تحدث عن المحبة (١كو ١٣) ٠

و بمقدار محبتنا لله سيكون فرحنا به فى الأبدية ، و ستكون سعادتنا ٠

نجم سيمتاز عن نجم فى الرفعة ، و هذه الرفعة ستحددها المحبة ٠ و إذا أحببت الله سوف لا تخاف ، أن المحبة تطرح الخوف إلى خارج ٠٠ إذا أحببت سوف لا تخاف الله ، و لا تخاف الخطية ، و لا تخاف الناس ، و لا تخاف الموت ٠٠

بالحب يعيش الإنسان فى فرح دائم ، يفرح بالرب الذى يقوده فى موكب نصرته ، من خير إلى خير ، و يفرح لتمتعه بالرب ، لأن الخطية لا مكان لها فى قلبه و لا مكانة ٠

حقاً قد تحدث له حروب و مقاومات من الشيطان ، و لكنها ضيقات من الخارج فقط ، و أما فى الداخل فيملك عليه ٠ و هكذا يجتمع فى قلبه المحبة و الفرح و السلام ٠

أريدكم أن تدربوا أنفسكم على هذا الحب ، أخرجوا من مظاهر الحياة الروحية ، و ادخلوا إلى عمق الحب ٠ و المحبة لن تسقط أبداً ٠

لقد أذكر بطرس معلمه ، و سب و لعن و قال : لا أعرف هذا الرجل ٠ و لكن الرب لم يسأله سوى سؤال واحد " أتحبنى ؟ " ٠٠ و أجاب بطرس :

أنت تعلم يا رب كل شئ ٠ أنت تعلم أنى أحبك " (يو ٢١ : ١٥ – ١٧)

و بهذه المحبة نال الغفران ، ورجع إلى رتبته الرسولية ٠

لست أود استرسل معكم كثيراً عن المحبة ، فقد أصدرت لكم كتاباً كبيراً بعنوان (المحبة قمة الفضائل)

خلق الله الإنسان منذ البدء للفرح ٠

و لذلك وضعه فى جنة هى جنة عدن (تك٢) ٠ و أحاطه بكل وسائل الراحة ٠ و من أجله خلق كل شئ : السماء و الأنوار ، و الأنهار و الثمار و الأزهار و فى الأبدية يعد له أفراحاً أخرى لا يعبر عنها : " ما لم تره عين ، و لم تسمع به أذن ، و لم يخطر على قلب بشر " (١كو ٢ : ٩) ٠ بل بالموت مباشرة ينقله الرب إلى فردوس النعيم ، حيث فرح العشرة مع الرب و الملائكة و أرواح القديسين ٠

بل و فى هذه الحياة الدنيا ، أوجد الرب للإنسان ألواناً من الفرح

فجعل له يوماً فى الأسبوع بستريح فيه و يفرح ٠ و منذ العهد القديم أعد الله للإنسان أعياداً مقدسة يفرح فيها (لا ٢٣) ، مع أعياد أخرى فى العهد الجديد ٠ و أعطاه أيضاً أن يفرح بكل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس (جا ٥ : ١٨) ٠

و هنا نبدى ملاحظة ، و هى الفرق بين اللذة و الفرح ٠

اللذة خاصة بالجسد و حواسه ٠ أما الفرح الحقيقى فهو خاص بالروح ٠ إنسان يتلذذ بالطعام و الشراب ، إنها لذة الجسد ٠ و إنسان آخر يلتذ بالمناظر ، و يشبع عينيه من أى منظر جميل ٠ إنها أيضاً لذة تختص بحواس الجسد ٠ و ثالث يلتذ بالسمع و الموسيقى ، إنها لذة الحواس ٠ و لكن تشترك هنا الروح إن كان ما يسمعه ألحاناً روحية ، أو كلمات روحية تشبع روحه ٠ وحينما نتكلم عن الفرح ، إنما نتكلم عن فرح الروح ٠ **لأن هناك فرحاً نفسانياً ، و هو فرح باطل ٠**

فرح باطل

مثال ذلك الذى يفرح بسقطة عدوه أو بليته ، و هذه خطيئة خاصة بالنفس ، قال عنها سليمان الحكيم " لا تفرح بسقوط عدوك " (أم ٢٤ : ١١) ٠ إنه فرح آثم ، لأنه نوع من الشماتة و هو ضد المحبة ، حسبما قال الرسول " المحبة لا تفرح بالإثم " (١كو ١٣ : ٦) ٠ **من الفرح الباطل ايضاً : الفرح الممزوج بالكبرياء ، بالذات ٠**

مثلما رجع التلاميذ السبعون فرحين يقولون للرب " حتى الشياطين تخضع لنا بإسمك ٠ فويخهم على ذلك بقوله " لا تفرحوا بهذا ٠٠ بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى ملكوت السموات " (لو ١٠ : ٧ – ٢٠) ٠ مثال ذلك الذين يفرحون أيضاً بالتكلم بألسنة !! إنه أيضاً فرح ممزوج بالذات و عظمتها و مواهبها ، و ليس بملكوت الله ٠٠

هناك إنسان يفرح بالخطية !!

هذا الفرح هو خطية أخرى تضاف إلى خطيته ٠ إنه يذكرنا بأولئك الذين قال عنهم الرسول " الذين مجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات " (فى ٣ : ١٩) ٠

نوع آخر هو الذين يفرحون بأمور تافهة مادية ٠

مثال الأبن الكبير الذى لم يفرح بعودة أخية الضال ، و لام أباه قائلا " وقط لم تعطنى جدياً ، لأفرح مع أصدقائى " (لو ١٥ : ١٩) !! هذا الذى يفرحه جدى ، لا شك أن مستواه الروحى ضعيف ، ورغباته أرضية ٠٠

هذا اللون من الفرح جربه سليمان الحكيم حينما قال ٠٠ ومهما اشتهته عيناى ، لم أمنعه عنها " ووجد بعد ذلك أن كل ذلك باطل و قبض الريح هو ط ٠ (جا٢ : ١٠ ، ١١) ٠ و لذلك قال عن مثل هذا الفرح " و عاقبة الفرح حزن " (أم ١٤ : ١٣) ٠ و قال أيضاً " قلب الجهال فى بيت الفرح " يقصد الفرح الباطل (جا ٧ : ٤) ٠ و قال الحماقة فرح لناقص الفهم " (أم ١٥ : ٢١) ٠ إنه

الفرح العالمى ، الخاص بالحواس و بالجسد ، أو الفرح النفسانى غير الروحانى ، إذن ما هو الروحانى ؟

١-هو بالرب ٠ فرح الوجود فى حضرة الرب ، و فى عشرته ٠ أو فرح الإلتقاء بالرب ٠ كما قيل عن التلاميذ إنهم فرحوا لما رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠) ٠ و تحقق بهذا وعده لهم " و لكنى أراكم فتفرح قلوبكم ٠ و لا ينزع أحد فرحكم منكم " (يو ١٦ : ٢٢) ٠ هذا الفرح الذى قال عنه القديس بولس الرسول : **افرحوا بالرب كل حين ، و أقول أيضاً افرحوا " (فى ٤ : ٤) ٠**

إنه فرح بالرب ، و فرح فى الرب ، كل حين ٠ شاعرين بوجوده معنا ، كما كان التلاميذ فرحين بالرب معهم " يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله " (أع ١ : ٣) ٠

فهل أنت تفرح بوجود الله فى حياتك ، أو فى حياة غيرك ؟

اسأل نفسك كل يوم : هل فرحك بالرب ، أم له أسباب أخرى ؟

٢-فى تسبحة العذراء ، نجد هذا الفرح الروحى بالرب ، إذ تقول :

تعظم نفسى الرب ، و تبتهج روحى بالله مخلصى (لو ١ : ٤٧)

إنها تبتهج بالله و خلاصه ٠ فهل أنت أيضاً تفرح بالخلاص و بالفداء ، بالكفارة التى قدمها المسيح لأجلك ٠ إن الكنيسة تذكرنا بهذا الخلاص كل يوم فى صلاة الساعة السادسة ، لكى نفرح به ٠ نبتهج بهذه الكفارة التى حملت جميع خطايانا و مسحتها بالدم ٠ الكريم ٠ و اشتراناً الرب بدمه ، فصرنا له ٠ صولحنا معه ٠

٣-هناك فرح روحى آخر ، و هو الفرح بالتوبة و التخلص من الخطية ٠

فرح بالتخلص من خطية متكررة ، أو عادة مسيطرة ٠ فرح إنسان أمكنه أن يعترف ، و أن ينال المغفرة ٠ مثاله فرح الابن الضال بعودته إلى بيت أبيه (لو ١٥) ٠

يقول داود النبى فى مزمور التوبة " اسمعنى سرور و فرحاً فتبتهج عظامى المنسحقة " " أردد لى بهجة خلاصك " (مز ٥٠)

حقا كم يكون فرح إنسان حينما يتخلص من عادة كانت مسيطرة عليه ، أو من خطية كان يضعف أمامها و تتكرر فى كل اعتراف ٠ ما أكثر فرح إنسان تخلص من الإدمان مثلاً ، أو من سيطرة الأفكار الشرير أو الأحلام النجسة ٠

٤-و ما أعظم الإنتصار على النفس ٠

كما يقول الحكيم " مالك نفسه خير ممن يملك مدينة " (أم ١٦ : ٣٢) ٠ إن الإنتصار على النفس أعمق بكثير من الإنتصار على الآخرين ، لن به يتحرر الإنسان من الداخلى ٠ إن الذى ينتقم لا يفرح مثل الذى يستطيع أن يضبط نفسه و يحتمل ٠ لذلك فرح داود النبى لما منعته أبيجايل الحكيمة عن أتيان الدماء و الانتقام لنفسه (١صم ٢٥ : ٣٢ ، ٣٣) ٠

٥-و هناك فرح برجوع الخطاة ٠

و هو ليس فقط فرحاً على الأرض ، إنما فى السماء أيضاً " لأنه يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب " (لو ١٥ : ٧) ٠ و لعلنا نرى فى قصة رجوع الابن الضال ، أن الآب قد قال : ينبغى أن نفرح و نسر ، لأن أبنى هذا كان ميتاً فعاش ، و كان ضالاً فوجد (لو ١٥ : ٥ ، ٦) ٠ هكذا فعلت المرأة التى وجدت درهمها المفقود ٠٠ فرح لكل الأصدقاء ٠

ما أعظم الفرح بالبحث عن الخطاة وردهم

هناك أشخاص عملهم هو هذا ٠ كما قال القديس بولس الرسول " و أعطانا خدمة المصالحة ٠٠و واضعاً فيناً كلمة المصالح ٠ إذن نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا ٠ نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله " (٢كو ٥ : ١٨ – ٢٠)
نفرح كلما نجد إنساناً قد اصطلح مع الله ٠٠ إذن الخدمة بالإضافة إلى مكافأتها فى السماء ، لها فرح أيضاً على الأرض ٠ و كما يقول الكتاب " من رد خاطئاً عن ضلال طريقة ، يخلص نفساً من الموت ، و يستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ٢٠) ٠
ما أعمق فرح الذى يخلص نفساً من الموت ٠ الفرح بإنسان ارتد عن الإيمان و أعدته ٠ أو الفرح بإنسانة سقطت وضاعت ثم رجعت مرة أخرى ٠

٦-إن كل عمل خير تعمله ، له فرحته :

فى الأرض و فى السماء ٠ تفرح حينما تنقذ إنساناً مسكيناً ، أو تفرح قلب عائلة فقيرة ، أو تريح إنساناً من تعبه ٠ تشعر بفرح داخلى ، لأنك أفرحت قلوباً منكسرة ، أو أنصفت شخصا مظلوماً ٠ بل تشعر بهذا الفرح حتى من جهة غير البشر ، كما قال أحد الأدباء سقيت شجيرة كوب ماء ٠ فلم تقدم لى عبارة شكر واحدة ٠ و لكنها انتعشت ، فانتعشت " ٠
الأم تشعر بفرح ، حينما تفرح ، حينما تفرح أبنها ٠ و تفرح حينما تشبع رضيعها ، و تفرح بنجاح أبنائها فى حياتهم ٠٠

هذا هو الفرح بإسعاد الآخرين ٠

إن الذى يدفع العشور و هو متضرر ، لا يشعر بهذا الفرح ٠ و قد يدفع ، و لكن ماله لا يصل إلى الله لأن " المعطى المسرور يحبة الله " (٢ كو ٩ : ٧) ، أى أنه يعطى ، و فى قلبه فرح بهذا العطاء ٠٠ ليتك تختبر فرح العطاء ٠٠
و العطاء الروحى له فرح أيضاً نجده فى فرح الآباء و المرشدين ٠

٧-فرح الأباء و المرشدين الروحيين :

أن القديس يوحنا الحبيب يقول فى رسالته إلى غايس " أيها الحبيب فى كل شئ أروم أن تكون ناجحاً و صحيحاً ، كما أن نفسك ناجحة ٠٠ ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق " (٣ يو ٢ ، ٤) ٠٠ إن هذا جزء من افراح الخدمة و الرعاية ٠**و لذلك يقول** القديس الرسول " طيعوا مرشديكم و اخضعوا ، أنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً ٠ لكى يفعلوا ذلك بفرح – غير آنين – لأن هذا غير نافع لكم " (عب ١٣ : ١٧) ٠

يفرح المرشد الروحى بنجاح أولاده روحياً ٠ يفرح من أجلهم ، و ايضاً من أجل نفسه ، من أجل أدانه لرسالته التى أتت بنتيجة ٠٠

أما الابن الذى لا يطيع ، أو يدخل فى مجادلات عقيمة مع مرشده و لا ينفذ ، فإنه يسبب لهذا الأب و المرشد ألما ٠ إن الذى يطيع و يقبل الكلمة ، و يأتى بثمر ، يذكرنا بقصة الخصى الحبشى الذى استمع لفيلبس و آمن و اعتمد " و مضى فى طريقة فرحاً " (أع ٨ : ٣٩) ٠
ليتنا نفرح بأفراح الناس ، و لا ننسى مجاملاتهم فى أفراحهم ، و بمشاركة قلبية فى ذلك الفرح ٠
إن الطفل يشعر بفرح كبير حينما يجد مجموعة كبيرة حوله تفرح بعيد ميلاده ، و تغنى له أنشودة و كذلك الكبار أيضاً يفرحون بمن يهنئهم فى مناسباتهم المبهجة ٠

يذكرنا هذا بذبيحة السلامة ٠

كان يأكل منها مقدمها و أحباؤه ايضاً ، و هو فرح بعمل الرب معه و يقر بها لأجل الشكر (لا ٧ : ١٢ ، ١٩) ٠ و يذكرنى هذا بالذين كانوا يخبزون (فطير الملاك) و يوزعونه ، يأكل منه أصدقاؤهم فرحين معهم بمعجزة أجراها الملاك معهم ٠٠ إن الفرح بفرح الآخرين يشعرنا أننا كلنا أسرة واحدة ٠

١١- درجة عالية من الفرح ، أن نفرح بالتجارب واثقين من بركاتها و أكاليلها ٠

كما قال القديس يعقوب الرسول " احسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة " (يع ١ : ٢) ٠

لسنا فقط نحتملها ، إنما أيضاً نفرح بها ، نفرح بالصليب ، و بالباب الضيق ، و بكل الآلام و الآلام و الاضطهادات ٠ نفرح بالرب " و شركة آلامه " (فى ٣ : ١٠) ٠ واثقين أننا " إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد معه أيضاً " (رو ٨ : ١٧) ٠ و بالأيمان نرى أن " كل الأشياء تعمل معاً للخير " (رو ٨ : ٢٨)٠ لا ننظر إلى الألم الموجود ، إنما ننظر فى رجاء إلى عمل الرب المقبل ٠ لذلك قال الرسول :

١٢-" فرحين فى الرجاء " (رو ١٢ : ١٢) ٠

الرجاء يعطى أملا فى مستقبل مشرق ٠ و هذا الأمل مصدره الإيمان بتدخل الله و عمله ٠ و نتيجة ذلك يفرح القلب ٠ كما يقول المرتل فى المزمور: " ليفرح بك جميع المتكلين عليك " (مز ٥ : ١١) " لأن المتكل على الرب لا نخزى " ٠ إنه شاعر بفرح ، لأن الرب لابد سيفرحه ٠٠

✠ ✠ ✠

إن أولاد الله يعيشون دائماً فى فرح

لأن الفرح هو من ثمر الروح ٠

يقول الرسول " ثمر الروح محبة فرح سلام ٠٠ " (غل ٥ : ٢٢) ٠ فالإنسان الروحى لمحبته لله ، و محبة الله له ، يشعر بفرح ٠ أيا كانت الأمور ، لابد أن الرب سيعمل و نفرح بعمله ٠ بل أن الرب فعلاً يعمل ، حتى إن كنا لا نرى عمله الآن ٠ سنراد و لو بعد حين ، فتفرح قلوبنا ، و لا يستطيع أحد أن ينزع فرحنا منا ٠

على أن أولاد الله يفرحون دائماً بالرب ذاته ، و ليس بمجرد عطاياه ٠

١٣- الفرح بنجاح الخدمة :

إن المعمدان فرح كثيراً ببشارة السيد المسيح و نجاحها ٠

فقال " من له العروس فهو العريس ٠ و أما صديق العريس الذى يقف و يسمعه ، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس ٠ إذن فرحى هذا قد كمل " (يو ٣ : ٢٩) ٠ لقد فرح لأنه سلم العروس للعريس ، حتى لو انتهت بذلك خدمته ٠ هنا الفرح الروحى البعيد عن الإهتمام بالذات ٠٠

أما الأنسان الأنانى فلا يفرح إلا بخدمته هو ، كأنه الوحيد الذى يخدم ٠ و من هنا قد يحدث التنافس و الحسد بين الخدام ، و لا يفرحون بعمل غيرهم ٠٠

و لا يمكننا أن نتصور مقدار فرح الشعب حينما تم بناء هيكل زربابل بتعب كثير ٠٠حتى أن الكتاب يقول أنهم " بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم ٠ كثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح ٠ و لم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب " (عز ٣ : ١٢ ، ١٣) ٠ و كما يقول المرتل " الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج " (مز ١٢٦) ٠ إن الذين يخدمون فى حقل الرب ، يفرحون بثمار الخدمة ، مهما كان تعبهم فيها ، بل إن تعبهم يزيد من فرحهم ٠ يقول الرسول :

كحزانى و نحن دائما فرحون " (٢كو ٦ : ١٠) ٠

فى نظر الناس من الخارج حزانى ، بسبب ما نبذله فى الخدمة من ألم و تعب ٠ و لكننا فى الداخل فرحون ٠ يقول القديس بولس أيضاً " أفرح فى آلامى لأكلكم " (كو ١ : ٢٤) ٠

١٤-كل إنسان أيضاً يفرح بثمر عمله ، يفرح بعمل الرب معه ٠

و هكذا قيل فى المزمور" عظم الرب الصنيع معنا ، فصرنا فرحين " (مز ١٢٦ : ٣) ٠

و هنا نرى أيضاً أن الفرح يمتزج بالشكر ٠

اقرأ مزمور ١٠٣ تجده كله فرحاً بعمل الرب " باركى يا نفسى الرب ، و لا تنسى كل احسـاناته " ٠

إن الذى يعمل مع الله ، يفرح بعمل الله معه ٠ و تفرح أن تعبك لم يكن باطلاً ٠ و كما يقول الرب " يفرح الزارع و الحاصد معاً " (يو ٤ : ٣٦) ٠

١٥- الإنسان الروحى يفرح لفرح غيره

كما يقول الكتاب " فرحاً مع الفرحين " (رو ١٢ : ١٥) ٠ إننا جسد واحد ٠ إن تألم عضو ، تتألم معه باقى الأعضاء ٠ و إن فرح عضو ، تفرح له و معه باقى الأعضاء ٠ المشـاركه فـى أفـراح الناس فضيلة ٠ قيل عن القديسة اليصابات العاقر لما ولدت ، إنه " سمع جيرانها واقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها " (لو ١ : ٥٨)

إن الفرح بمجرد العطايا أمر له خطره ٠ لأنه إن لم نأت عطايا الرب أو نعمه ، ربما يتغير القلب من الداخل ، أو يتحول إلى حزن ، أو يتذمر على الرب ، ليس فقط لأنه لم يعط ، بل حتى إن تأخر فـى عطائه

لذلك فالروحيون لا يفرحون لمجرد العطية ، بـل يفرحـون بمعطيهـا ٠ يفرحـون بمحبـة و حنـو الله الذى يعطى ٠ و هكذا يفرحون بالرب ٠٠

إنهم يفرحون بالرب كأب يهتم بهم ويرعاهم ، و يعطيهم كل ما يحتاجون إليه ٠٠ ويفرحون بمحبته لهم التى يثقون بها تماماً ، حتى إن لم يعط ، أو إن لم يروا عطاياه (على وجه اصح) لأن الله دائماً يعطى ٠

✠ ✠ ✠

هنا و نسأل سؤالاً هاماً :

ماذا عن الموت ؟ هل هو سبب فرح ؟ أم هو سبب حزن أو خوف ؟

الموت هو سبب فرح روحى ، للذين يثقون بمصيرهم بعد الموت ٠ مثل القديس بولس الرسول الذى اشتهى الموت قائلاً " لى اشتهاء أن أنطلق و أكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً (فى ١ : ٢٣) ٠

و مثل سمعان الشيخ الذى طلب الموت قائلا " الآن يا رب تطلق عبدك بسلام حسب قولك ، لأن عينى قد ابصرتا خلاصك ٠٠" (لو ١ : ٣٠)

أما الذين لم يستعدو للموت ، و لم يستعدو للقاء الرب ، فإنهم يخافون الموت ، لأنهم يخافون ما بعد الموت ٠ عدم استعدادهم يمنع الفرح بالموت ٠

الخطية عموماً تمنع الفرح الروحى ٠

هكذا قال القديس بولس الرسول " ثمر الروح : محبة فرح سلام " (غل ٥ : ٢٢) ٠ و قد تحــدثنا عن المحبة و الفرح ٠٠ و نود أن نتحدث الآن عن السلام
نذكر أولاً مقدمة عن أهمية السلام ، و عن استعماله فى الكتاب و فى الصلوات و فى الحياة ٠٠

ثم نتحدث عن ثلاثة عناصر هامة للسلام :

١-سلام مع الله ، وسلام من الله ٠
٢-سلام مع الناس ٠
٣-سلام داخلى فى القلب بين الإنسان و نفسه

أهمية السلام :

السلام عنصر هام لحياة الناس ٠ بدون لا يستقر مجتمع ، ، و لا يهدأ إنسان ٠ و السلام هو شهوة الدول و الشعوب حتى تعمل فى هدوء ٠ و بدونه يعيش العالم فى شريعة الغاب

و الله يريد لنا السلام ، ويمنحنا إياه ٠

هو الذى قال لتلاميذه القديسين " سلامى أترك ٠ سلامى أنا أعطيكم ٠٠ لا تضطرب قلوبكم و لا تجزع " (يو ١٤ : ٢٧) ٠ و نحن نصلى هذا الفصل من الإنجيل فى الساعة الثالثة من كل يوم ، متذكرين هذا السلام ، حتى لا تضطرب قلوبنا و لا تجزع ٠ و السلام هو الأنشودة التى غنى بها الملائكة يوم ميلاد السيد المسيح ٠ فقالوا " المجد لله فى الأعالى ، و على الأرض السلام ٠٠ " (لو ٢ : ١٤) ٠

و ما أكثر ما يقول الأب الكاهن عبارة " السلام لجميعكم " ٠

يقولها فى بدء كل صلاة طقسية ، و فى بدء الأواشى ، مرات عديدة جداً فى كل قداس إنه يصلى أن يكون السلام فى قلوب الجميع ، لأنهم إن فقدوا سلامهم ، فقدوا العنصر الأساسى لحياتهم و التعاملهم من الآخرين ٠٠

و السلام هى التحية التى يتبادلها الناس كل يوم ٠ و هى التى صدرت من الرب و من الملائكة ٠٠

عند ملاقاة الرب للمريمتين بعد القيامة ، قال لها سلام لكما (مت ٢٨ : ٩) ٠ و عندما دخل العلية على التلاميذ قال لهم سلام لكم (يو ٢٠ : ١٩) ٠ بل أن هذه العبارات تكررت فى هذا الإصحاح من إنجيل يوحنا ثلاث مرات (انظر أيضاً لو ٢٤ : ٣٦)

و فى إرسال الرب لتلاميذه قال لهم : و أى بيت دخلتموه ، فقولوا سلام لأهل هذا البيت ٠ فإن كان إبناً للسلام ، يحل سلامكم عليه (لو ١٠ : ٥ ، ٦) ٠

القديسة العذراء عندما زارت القديسة أليصابات بدأتها بالسلام " فلما سمعت اليصابات سلام مريم ، ارتكض الجنين فى بطنها ، و امتلأت اليصابات من الروح القدس " (لو ١ : ٤١) ترى ما قوة ذلك السلام !!

و الملاك جبرائيل فى تبشيره للعذراء بميلاد المسيح ، قال لها " السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك " (لو ١ : ٢٨) ٠ و نرى أن الآباء الرسل يبدأون رسائلهم بالسلام ٠ فيقولون " نعمة لكم و سلام " (رو ١ : ٧) (١كو ١ : ٢) (٢كو ١ : ٢) (غل ١ : ٣) (أف ١ : ٢) ٠٠ و فى خلال الرسائل يقولون : سلموا على ٠٠ يسلم عليكم ٠٠ " (أنظر رو ١٦) (٣ يو ١٥) ٠

و من أهمية السلام أنه وضع فى مقدمة ثمر الروح ، إذ قيل " ثمر الروح : محبة فرح سلام " (غل ٥ : ٢٢) ٠ و قيل فى المعاملات " ثمر البر يزوع فى السلام من الذين يعملون السلام " (يع ٣ : ١٨) ٠ و كما كان بدء اللقاءات بالسلام ، كذلك أيضاً كانت تنتهى ٠ كما قال أليشع النبى لنعمان السريانى " إمض بسلام " (٢مل ٥ : ١٩) ٠ كذلك قال السيد المسيح للمرأى الخاطئة " اذهبى بسلام " (لو ١٧ : ٥٠) ٠

سلام مع الله

حينما خلق الإنسان مع الله٠ **و لكن بالخطية ، فقد الإنسان سلامة مع الله**

هكذا حدث مع آدم (تك٣) و مع قايين (تك ٤) ٠ و هكذا حدث مع كل الأشرار فى العالم عبر الأجيال ٠ لأن الخطية هى انفصال عن الله (لو ١٥ : ١٣) ٠ و هى أيضاً عداوة لله (يع ٤ : ٤) (١ يو ٢ : ٥) ٠ لذلك قيل : **" لا سلام قال الرب للأشرار " (أش ٤٨ : ٢٢) ٠**

و قد تكرر نفس المعنى (أش ٥٧ : ٢١) ، فى نفس السفر ٠ فالأشرار يفقدون سلامهم مع الله ، هنا على الأرض ٠ و أيضاً فى آخر الزمان ، فى مجئ الرب ٠ و فى ذلك يقول القديس بولس الرسول " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب ١٠ : ٣١) ٠ و لكن كيف تكون إذن المصالحة مع الله ؟ (٢كو ٥ : ٢٠) ٠

غير المؤمنين يصطلحون مع الله بالإيمان ٠ و الخطاة يصطلحون من الله بالتوبة ٠

فعن الإيمان قال الكتاب " إذ قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله " (رو ٥ : ١) ٠ هذا السلام كان كان نتيجة للدم الذكى الذى سفكه المصلوب لأجلنا " لأنه هو سلامنا ٠٠ الذى نقض الحائط المتوسط " (اف ٢ : ١٤) ٠٠ هو صنع السلام بين السماء و الأرض ٠

أما عن التوبة ، فيقول الله – تبارك أسمه – " ارجعوا إلى ، أرجع إليكم " (ملا ٣ : ٧) ٠ و يقول القديس يوحنا الحبيب " إن لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله " (١ يو ٣ : ٢١) ٠ و قال القديس اغسطينوس فى كتاب اعترفاته للرب " ستظل قلوبنا مضطربة ، إلى أن تجد راحتها فيك " ٠

سلام من الله

السلام الحقيقى هو من الله ، هذا الذى قيل عنه فى المزمور " الله يبارك شعبه بالسلام " (مز ٢٩ : ١١) ٠ و عن هذا السلام ، قال الرسول **" سلام الله الذى يفوق كل عقل ، يحفظ قلوبكم و افكاركم " (فى ٤ : ٧) ٠**

الله هو مصدر السلام ، ورئيس السلام ، وملك السلام ٠ وأول أوشية هى (أوشية السلامة) ، نطلب فيها من الله سلاماً للكنيسة و كل الشعب ٠

سلام الله و يحفظنا من الشيطان ، و من الخوف و القلق ٠٠ فليتنا نتذكر و عود الله لنا إنك تجد سلاماً داخل قلبك ، إن تذكرت قول الرب " هوذا على كفى نقشتك " (أش ٤٩ : ١٦) ٠

و أيضاً قوله " أما أنتم فحتى شعور رؤسكم جميعها محصاة " (مت ١٠ : ٣٠) ٠ " تكونون مبغضين من الجميع لأجل إسمى ٠ و لكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك " (لو ٢١ : ١٨) ٠ " لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم " (أع ٢٧ : ٣٤) ٠

مما يجلب السلام ايضاً مزامير عن حفظ الله لك ٠

مثل المزمور (١٢٠) : " الرب يحفظك ٠ الرب يظلل على يدك اليمنى ٠ فلا تضربك الشمس بالنهار ، و لا القمر بالليل ٠٠ الرب يحفظك من كل سوء ٠ الرب يحفظ دخولك و خروجك " ٠ أو المزمور (١٢٣) : " نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ٠ الفخ انكسر و نحن نجزنا ٠ عوننا من عند الرب الذى صنع السماء و الأرض " ٠ أو المزمور (٩١)" الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت ٠ لا تخش من خوف الليل ، و لا من سهم بالنهار " " يسقط عن يسارك ألوف ، و عن يمنيك ربوات ٠ أما أنت فلا يقتربون إليك " ٠ و ما أكثر وعود الله فى المزامير التى تجلب السلام ، لذلك قلنا

: أحفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير ٠

تكلمنا عن السلام الذى من الله ، لأن هناك ألواناً أخرى من السلام الزائف ، ليست من الله !

سلام زائف

مثاله السلام الزائف الذى كان يوحى به الأنبياء الكذبة قبل السبئ حتى لا يتوب الناس خائفين من غضب الله الآتى ٠ و هكذا قال الرب فى سفر حزقيال النبى " أضلوا شعبى قائلين سلام ، و لا سلام " (حز ١٣ : ١٠) ٠ وكما ورد أيضاً فى سفر أرمياء النبى " قائلين سلام ، و لا سلام " (أر ٦ : ١٤) ٠

إنه لون من الخداع ، فيه تخدير للأعصاب و الضمير ٠

تماما مثلما خدع الشيطان أبوينا الأولين قائلاً " لن تموتا ٠ بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما و تكونان كالله عارفين الخير و الشر " (تك ٣ : ٤ ، ٥) ٠

و كأى شخص يدعوه إنساناً للإشتراك معه فى خطية ما ، و يشعره بأنه سوف لا يصيبه من ذلك أى أذى ، بل سيمر الأمر بسلام !! ٠٠ سواء كان ذلك فى سرقة أو رشوة أو زنى أو غش ٠٠

و قد يأتى مثل هذا السلام الزائف من ثقة الشخص واعتداده بنفسه ، و ظنه أنه سيفعل كل ما يريد ، و تمر كل تدبيراته الخاطئة فى سلام ! كالقاتل الذى يثق بنفسه أنه سيرتكب جريمته بكل حرص دون أن يترك أثراً ، و يمر ذلك بسلام

كله سلام زائف يصوره الإنسان لنفسه ، أو يصوره له الشيطان أو شركاء السوء أوالمحرضون ٠

ننتقل إلى بند آخر و هو السلام مع الناس :

سلام مع الناس

فيه يسلم الناس بعضهم على البعض ، ليس فقط بالأيدى ، و إنما بالقلب و النية أيضاً ٠ و يقولون كلمة سلام من عمق قلوبهم و يقصدونها ٠

و إن كانت بينهم خصومة من قبل ، يتصالحون ٠٠

و عن هذا قال السيد فى عظته على الجبل : " إذا ما قدمت قربانك إلى المذبح ٠ و هناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح ٠ و اذهب أولاً اصطلح مع أخيك " (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) ٠ و فى هذا تشترط الكنيسة الصلح قبل التناول ٠٠

و فى القداس الإلهى نصلى صلاة الصلح قبل قداس القديسين ، و قبل سيامات الإكليروس ٠٠

و لأنه قد يبدو من الصعب أن تصطلح مع كثير من الأعداء و المقاومين ، ذلك قال الرسول :

" إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم ، سالموا جميع الناس " (رو ١٢ : ١٨) ٠

ذلك لأن البعض لا يمكنك مسالمتهم ، إلا إذا اشتركت فى الخطأ معهم ، أو بسبب شراسة طباعهم ، أو لأنهم يحسدونك بسبب نجاحك ، أو بسبب تدابير معينة يدبرونها ، أو لأن سلوكك الطيب يكشف أخطاءهم ، أولأى سبب آخر ٠٠ لهذا حسب طاقتك ، إن كان ممكناً لك ، سالم جميع الناس ٠ و إلا فعليك بالآتى :

***لا تجعل الخلاف يأتى بسببك ٠**

كن مصلوباً لا صالباً ٠ قد يعاكسك الغير ٠ و لكن لا تبدأ أنت بالشر ٠ ثم لا تكن حساساً جداً من جهة أخطاء الآخرين ٠

***كن واسع الصدر حليماً ٠**

اذكر ما قيل عن موسى النبى " و كان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) ٠

حاول باستمرار أن تحتمل و أن تغفر ٠

و كما قال الرسول " لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء " لا تجازوا أحداً عن شر بشر " (رو ١٢ : ١٩ ، ١٧) ٠ إبعد عن الغضب و عن الإستثارة و الإنفعال و كما قال الرسول :

" لا يغلبنك الشر ، بل اغلب الشر بالخير " (رو ١٢ : ٢١) ٠

و أعرف أن الذى يحتمل هو الأقوى ٠ أما الذى لا يستطيع أن يحتمل فهو الضعيف ٠ لذلك قال الرسول " تجب علينا نحن الأقوياء ، أن نحتمل ضعفات الضعفاء ، و لا نرضى أنفسنا " (رو ١٥ : ١)

***لا تطالب الناس بمثاليات ٠ و إنما إقبلهم كما هم ، بواقعهم ، و ليس كما ينبغى أن يكونوا ٠**

إننا نقبل الطبيعة كما هى : الفصل المطير ، و الفصل العاطف ، و الفصل الحار ، دون أن نطلب من الطبيعة أن تتغير ٠ فلتكن هكذا معاملتنا لمن نقابلهم من الناس ٠ ليسوا كلهم ابراراً طيبين ٠ كثير منهم لهم ضعفات ، و لهم طباع تسيطر عليهم ٠ إنهم عينات مختلفة ، و بعضها مثيرة ٠ فلتأخذ منهم موقف المتفرج ، و ليس موقف المنفعل ٠ و عاملهم حسب طبيعتهم ، بحكمة ٠

***بالوداعة و التواضع يمكن مسالمة الكثيرين ٠**

إن قيل إنه بالروح الرياضية يمكن أن تكسب الكثيرين و تسالمهم ، فكم بالأكثر بالوداعة و الإتضاع ٠٠ و إن كنت فى مجال الدفاع عن الحق ، فافعل ذلك بهدوء وباتضاع ٠ لك أن تحب الحق ، و أن تدافع عن الحق ، و لكن ليس لك أن ترغم الناس على السير فيه ٠ إن الله نفسه أعطانا وصايا ، و لم يرغمنا على طاعتها ٠

الأستثناء الوحيد فى موضوع المسالمة ، هو معاملة الهراطقة و المبتدعين و فاسدى الخلق

نحن لا نستطيع أن نجامل المبتدعين و الهراطقة على حساب التفريط فى الإيمان ٠ فقد قال القديس يوحنا الحبيب " إن كان أحد يأتيكم و لا يجئ بهذا الإيمان فلا تقبلوه فى البيت ، و لا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة " (٢يو ١٠ : ١١) ٠

إن أراد أحد أن يبعدك عن الإيمان ، فاحترس منه و لا تجامله ، و لا تقبله فى البيت ، بنفس **الوضع**

يمكن أن تبتعد عمن يحاول أن يفسد خلقك و يقودك إلى الخطية ٠

واذكر قول الكتاب " لا تضلوا ، فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو ١٥ : ٣٣) ٠ و أيضاً ما قيل فى المزمور الأول " طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ٠ و فى طريق الخطاة لم يقف ٠ و فى مجلس المستهزئين لم يجلس " (مز ١) ٠

إن عدم وجود السلام القلبى يسبب الخوف ٠ بل يسبب أيضاً القلق و الإضطراب و الانزعاج ٠٠ و متاعب نفسية كثيرة ٠٠

انظروا إلى إنسان يملك السلام قلبه ، مثل داود النبى ٠ نراه يقول فى مزاميره " أن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى ٠ و إن قام على قتال ٠ ففى هذا أنا مطمئن " (مز ٢٧) ٠
و أيضاً إن سرت فى وادى ظل الموت ، فلا أخاف شراً ، لأنك أنت معى " (مز ٢٣) ٠
الجيش كله خاف من ملاقاة جليات ، لكن داود لم يخف ٠
كان قلبه مثل اسد ٠ مع أنه كان شاباً صغيراً ، و أخوته الأكبر منه كانوا خائفين ٠٠ " و الملك شاول نفسه قال له " لا تستطيع أن تذهب لتحاربه ، لأنك غلام و هو رجل حرب منذ صباه " (١صم ١٧ : ٣٣) و لكن داود القوى القلب قال للملك " لا يسقط قلب أحد بسببه ٠٠ عبدك يذهب و يحاربه " و حكى كيف أنه فى صباه كان يرعى غنمه ، فجاء أسد مع دب ، و أخذا شاه من القطيع " و لم يخف داود من كليهما ، بل خرج وراء الأسد ، و أنقذ الشاة من فمه ٠ وقتل الأسد و الدب جميعاً " (١صم ١٧ : ٣٤ – ٣٦) ٠

و عدم خوف داود من جليات الجبار ، كان مرتكزاً على عمل الرب ٠

قال داود " الرب للرب " و ليس الخلاف بسيف أو برمح ٠٠ و قال الجبار " أنت تأتى إلى بسيف ورمح و بترس ، و أنا آتى إليك باسم رب الجنود " فى هذا اليوم يحبسك الرب فى يدى ٠٠" إنها ثقة قوية بعمل الرب ورعايته ٠ لذلك لم يخف مطلقاً ، و بإيمانه ادخل إسم الله إلى ساحة الحرب ٠٠ الله الذى هو أقوى من جليات الجبار ، و من كل جبابرة الأرض ، لذلك قال عن جليات " لا يسقط قلب أحد بسببه " (١صم ١٧ : ٣٢) ٠٠
و هكذا الذى يملك السلام قلبه ، ليس فقط يكون مطمئناً ، بل أيضاً يشيع الإطمئنان فى القلوب ٠ فكمثال داود ، كان موسى و اليشع : كل منهما فى سلامه و اطمئنانه ، كان يبعث نفس الإطمئنان فى قلوب غيره ٠ جيش الأعداد كان يحيط بالسامرة ، و كان اليشع مطمئناً ٠ أمام تلميذه جيحزى فكان خائفاً ، لأنه لم يكن يبصر المعونة الإلهية المحيطة بالمدينة ٠ لذلك قال اليشع لتلميذه جيحزى " لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا " (٢مل ٦ : ١٦) ٠ ٠ و صلى إلى الله لكى يفتح عينى الغلام فيرى ٠٠ و الشعب أمام البحر الأحمر من ناحية ، و فرعون من ناحية أخرى ٠ خافوا إذ رأوا الموت يهددهم ، و لم يكن لهم الإيمان الذى يرون به خلاص الرب ٠ أما موسى فلم يخف ٠
بل قال للشعب " لا تخافوا ٠ قفوا و انظروا خلاص الرب ٠٠ الرب يقاتل عنكم و أنتم تصمتون " (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) ٠

بالإيمان نرى معونة الله و خلاصه ٠ فلا نخاف ٠

بطرس الرسول و هو ماش مع الرب على الماء نظر إلى الأمواج " و لما رأى الريح شديدة خاف و ابتدأ يغرق " (مت ١٤ : ٣٠) و سبب ذلك أنه كان ينظر إلى الموج و ليس إلى المسيح الذى يمسك بيده و ينجيه ٠ لذلك وبخه السيد على عدم إيمانه و قال له " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت " (مت ١٤ : ٣١) ٠

إن الله دائما يدعونا إلى عدم الخوف ٠

إنه يقول " لا تخافوا ٠ لا تضطرب قلوبكم و لا تجزع " " سلامى أترك لكم ٠٠ سلامى أنا أعطيكم " (يو ١٤ : ٢٧) ٠ و كان الله دائماً يقوى أولاده ، يدعوهم إلى عدم الخوف ٠٠ لما أحس يشوع بالضعف بعد موت موسى النبى ، قال له الرب " كما كنت مع موسى النبى أكون معك ، لا أهملك و لا أتركك " " تشدد و تشجع ٠ لا تهرب و لا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب " بل قال له أكثر من هذا " لا تقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك " (يش ١ : ٥– ٩)٠

و ما أجمل العبارة المعزية التى قالها لبولس الرسول فى رؤياه " لا تخف ، بل تكلم و لا تسكت ، لأنى أنا معك ، و لا يقع بك أحد ليؤذيك " (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) ٠ و عندما كان يعقوب أبو الآباء خائفاً من أخيه عيسو ، ظهر له الرب فى رؤياه و عزاه ٠ و قال له " ها أنا معك ، و أحفظك حيثما تذهب ، و أردك إلى هذه الأرض " (تك ٢٨ : ١٥) ٠

إن الخوف دخيل على الطبيعة البشرية ، لم يدخل إلى النفس إلا بعد الخطية ٠

كان آدم يعيش مع الوحوش ، مع الأسود و النمور و الفهود ، و مع الثعابين و الدبيب ، و ما كان يخاف ، و كذلك كان أبونا نوح فى الفلك مع كل هذه الوحوش ، و كان يعتنى بها و يطعمها ، و ما كان يخاف آدم لما أخطأ بدأ يخاف ٠ واختبأ خلف الشجر ، وقال للرب " سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاختبأت " (تك ٣ : ١٠)

و كما خاف آدم بعد الخطية ، كذلك خاف قايين ٠ و قال للرب " ذنبى أعظم من أن يحتمل ٠ ها قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، و من وجهك أختفى ٠ و أكون تائهاً و هارباً فى الأرض ٠ فيكون كل من وجدنى يقتلنى " (تك ٤ : ١٣ ، ١٤) ٠ و قضى قايين أيامه فى رعب ، فاقداً لسلامة الداخلى

الخطية تشعر الإنسان بأنه نفصل عن الله مصدر القوة و الحماية ، فيخاف ٠٠

يخاف من الخطية و انكشافها و فضيحتها أمام الناس ، يخاف من نتائج الخطية ، و من عقوبة المجتمع أو القانون ، و يخاف من الله نفسه و دينونته ، و يخاف من ضعفه أمام الخطية ، و من الشيطان الذى انتصر عليه ٠

فإذا حصل الإنسان على مغفرة الله و ستره ، فلا يخاف ، و إن آمن بمعونة الله له فى ضعفه ، فلن يخاف لأن مجرد شعوره أن الله معه ، ينزع الخوف من قلبه ٠

الإنسان الخائف ، ينظر إلى سبب الخوف و ليس إلى الله الذى ينجيه منه ٠

ما أكثر اسباب الخوف ، و هى نابعة من داخل الإنسان ٠

البعض يخاف من كلام الناس ، و من بطشهم ، و من مؤامراتهم ٠ و البعض يخاف من حسد الناس و طالما هو يؤمن بالعين الحاسدة و أثرها السئ ، سيظل خوفه مستمراً ٠ و ليس مصدر خوفه هو قوة عين الحسود ، إنما السبب يكمن فى ضعف قلبه الذى يؤمن بالحسد ٠

و قد يخشى أحدهم من الناس الأشرار ، و لا يضع فى قلبه معونة الله

كان ارميا يخاف من الناس ٠ أما الرب فقال له " لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك – يقول الرب– لأنقذك ٠٠ هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة و عمود حديد و اسوار نحاس على كل الأرض ٠٠ فيحاربونك و لا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك لأنقذك " (أر ١ : ٨ ، ١٨ ، ١٩) ٠

و قد يخاف إنسان من قوم ، و هم لا يفكرون مطلقاً فى إيذائه ٠

مثلما كان شاول الملك يخاف داود ، يطارده فى كل مكان ليقتله ٠ بينما لم يفكر داود إطلاقاً فى أن يؤذى شاول حتى عندما وقع فى يده ، و كان بإمكانه أن يقتله و نصحه اتباعه بذلك ٠٠ قال داود " حاشاً لى أن افعل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ، فأمد يدى إليه ، لأنه مسيح الرب هو ٠ ووبخ داود رجاله ، و لم يدعهم يقومون على شاول " (١صم ٢٤ : ٦ ، ٧) ٠٠ و قال للملك لما استيقظ " وراء من خرج ملك إسرائيل ؟! وراء من أنت مطارد ؟ ! وراء كلب ميت ؟! وراء برغوث " ٠٠ و

كانت النتيجة أن شاول الملك رفع صوته و بكى و قال لداود " أنت أبر منى " (١صـــم ٢٤ : ١٤ ، ١٦) ٠ **كان يخاف من وهم ٠ من شئ غير موجود ، كخوف الأطفال ٠**

الطفل يخاف من أوهام ٠ من أمور يتصورها قلبه الخائف ، و يخترعها فكـــره الخـــائف ، مثـــل أن يخاف من الظلام ٠٠ و ليس وراء الظلام ما يخيف ٠٠ أو يخاف من (حرامى) غير موجـــود ٠٠ أو يخاف من (عفريت) و ليس هناك عفاريت ٠٠ أنها أوهام يخترعها القلب الخائف ٠

أو يخاف الطفل من وجود وحده ، و عدم وجود أحد إلى جواره يحميه من أى خطر غير معروف ٠ و يصرخ الطفل و يبكى بلا سبب إلا الخوف ٠

و تستمر مخاوف الطفولة عند البعض و هم كبار ٠

يخاف من امتحان ، ربما يكون صعباً و الأسئلة معقدة ، أو من التصحيح و قد يكون قاسياً ٠٠ و إن نجح و قدم على الوظيفة و طلبوه للمقابلة يخاف من ال Interview ، فربما يفشل فيه

وقد تخاف فتاة من لقاء عريس جاء لخطبتها ٠

ربما لا تعجبه ربما يذهب و لا يعود ٠ وربما تخاف مما يقوله الناس بعدئذ ٠٠ و تخاف من لقـــاء عريس آخر ، لئلا يذهب كما سابقة و تستمر المخاوف ٠٠

وقد يخاف الإنسان من الفشل ٠

فإن قام بأى مشروع يخاف أن يفشل ، يخاف أن تقف أمامه معوقات ، أو مؤامرات من المنافسين ، أو خيانة و سرقات من الشركاء ٠

إن كان فقيراً ، يخاف من العوز ، و أن كان غنياً يخاف من السرقة ، و على أية الحالات يخاف ٠٠

و إنسان يخاف من المخاطر ٠

إن ركب طائرة يخاف أن تحدث لها كارثة ، و يتذكر كل كوارث الطائرات و مـــا نشـــر عنهـــا فـــى الصحف ٠٠ و فى كل طرق المواصلات ، يخاف من الحوادث ، لا يضع أمامه الـــنقط البيضـــاء ٠٠ إنما كل سجل النقط السوداء حاضر فى ذهنه ، فكره هو الذى ينميه و يخيفه ٠

و إنسان آخر يخالف من نفسه :

يخاف من عجزه ، من عدم قدرته ، من نسيانه ، من ضعفه أمام قوة منافسيه و خصومه ٠٠ يخاف من عدم قدرته على الإستمرار ، لذلك يفقد الثقة بالنفس ، يفقد روح الجرأة و الإقدام ، و يفقد القوة على البدء بأية مبادرة ٠ صورة العجز و الفشل ماثلة أمامه باستمرار ٠٠ إنه يخـــاف حتـــى مـــن الخطية و عجزه عن مقاومتها ٠

الخوف يسبب له الإضطراب و القلق و الإنزعاج ، بل الخوف يشل تفكيره عن العمل

و يكون له تأثيره على نفسه و على أعصابه ٠٠ و يظهر الخوف فى ملامحه ، فى نظراتـــه ، فـــى لهجة صوته ، فى حركات جسده ٠ بل قد يرتعش و يصفر وجهة ٠ و يخفق قلبه ، و يكون مكشوفاً أمام الكل أنه خائف ٠٠ و قد يظهر الخوف فى تصرفاته ، فى تردده ، و عدم قدرته علـــى اتخـــاز قرار بحثه عن حماية ٠٠

البعض قد يقوده الخوف إلى الإنطواء ، و إلى تكرار عبارة " يكون كل من وجدنى يقتلنى " (تك ٤ : ١٤) ٠ أما الإنسان الروحى فلا يخاف ، بل يملك السلام على قلبه ، و بالسلام الطمأنينة

و قد يخاف إنسان من الموت : أو يخاف من المرض الذى يؤدى إلى الموت ٠

و إذا أصيب بمرض تنهار معنوياته ، و يتصور أقصى ما يمكن أن يتطور غليه المرض ، مثلما يفكر بعض الأطباء إذا مرضوا ٠٠ و قد يخاف البعض من العدوى ، و يتخذ لتفاديها وسائل تخرج عـــن الحد المألوف !

أما الإنسان الروحى ، الذى يملك السلام على قلبه ، فلا يخاف الموت ٠

لأن استعداده للموت بالحياة البارة ، ينزع خوف الموت من قلبه ٠ بل على العكس يشتهى الموت ، الذى ينقله إلى عشرة المسيح و الملائكة و القديسين ٠ و يذكر قصص الشهداء و آباء البرية ٠

الشهداء الذين لم يخافوا الموت و لا التعذيب و لا التهديد ،

و لا الولاة و لا المحاكمات و لا السجون ٠ و كانوا يرتلون فى السجون ، و يفرحون بلقاء الرب ٠٠ سيرة قلوبهم القوية ، تمحنك قوة فلا تخاف ، يملك السلام على قلبك ٠٠

كذلك آباء البرية ، الذين ما كانوا يخافون الوحدة فى البرارى ٠

بل يجدون فيها متعة روحية ، و ما كانوا يخافون حروب الشياطين ، و لا وحوش البرارى ، و لا دبيب الأرض ، و بعضهم كان يسكن أحياناً فى القبور ، و لا يخاف ٠ و معروفة قصة ابا مقار الذى نام فى مقبرة و قد وضع جمجمة تحت رأسه ، فتحدث معها الشياطين لكى يفزعوه ، و بكلام هزء ، حتى يفقد هدوء قلبه ٠٠ و لم يخف ٠

كونوا إذن أقوياء القلب ، و عيشوا فى سلام ٠ لا تخافوا ، و ليكن لكم سلام فى قلوبكم ٠

لكى يحتفظ الإنسان بسلامة و اطمئنانه ، ينفه أن يتذكر قوة الله الحافظة

يؤمن بأن الله موجود ، و أنه يعمل لأجله ، كما يؤمن أن كل مشكلة لها حل ، و أن الله عنده حلول كثيرة و غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله ، " و كل شئ مستطاع للمؤمن"(مر٩ :٢٤) و لكى يحصل على السلام الداخلى ، يتذكر أن ملاك لله حال حول خائفيه و ينجيهم ، و أننا محاطون بملائكة كثيرين لحفظنا ٠ و فى الكتاب أمثلة عديدة لهذا ٠ و كذلك يتذكر عمل القديسين وصلواتهم من اجلنا و شفاعتهم فينا ، و أننا لسنا وحدنا ٠ كذلك عمل النعمة و الروس القدس فينا ٠

و فى الإطمئنان ، لنحترس من الإطمئنان الزائف ٠

مثل مريض بسرطان خطير ، يدخلون الإطمئنان إلى قلبه ، بأن المرض مجرد كيس دهنى بسيط ٠٠! أو مثل إطمئنان مدير عام لعمل ، يشعره موظفوه بأن كل شئ تمام ! و يثق بذلك دون فحص ٠٠

من ثمر الروح

(4)
طول الأناة
أ- عند الله

هكذا قال القديس بولس الرسول " و أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف ٠٠ " غل ٥ :٢٢ ، ٢٣) ٠ و هذه الفضائل ترتبط معاً ٠ فالذى عنده محبة بالضرورة يحيا فى فرح و سلام ٠ و الذى عنده محبة ، لبد أن يتصف بطول الأناة ٠ و هكذا يقول الرسول أيضاً " المحبة تتأنى ٠٠ " (١كو ١٣ : ٤)

و طول الأناة ، توصف بأنها طول الروح ، و طول البال ، وسعة الصدر ، و الحلم ، و الصبر ٠

فالإنسان الطويل الأناة ، هو إنسان صبور حليم طويل البال ٠ واسع الصدر ورحب القلب ٠ وقيل فى ٠ذلك عن سليمان الحكيم : " و أعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً ، ورحبة كالرمل الذى على شاطئ البحر " (١مل ٤ : ٢٩) ٠ و قيل عن موسى النبى " و كان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) ٠

الله نفسه طويل الأناة طويل الأناة طويل الروح ٠

لولا طول أناته علينا ، لهلكنا جميعاً ٠ و طول أناته تنبع من عمق رحمته و حنانه٠ و فى ذلك يقول داود النبى " الرب رحيم ورؤوف طويل الروح و كثير الرحمة " (مز ١٠٣ : ٨) ٠ و يقول القديس بطرس " احسبوا أناة ربنا خلاصاً " (٢بط ٣ : ١٥) ٠

إنه يطيل أناته جداً فى معاملة الخطاة ٠

كم أطال أناته على الأمم – فى عبادتهم للأصنام – حتى تابوا أخيراً ورجعوا إليه ٠٠ أطال أناته على أهل نينوى ، إلى أنا صاموا منسحقين أمامه ، فقبل توبتهم ٠ و حزن يونان لأن الله لم يعاقبهم ! (يون ٣ ، ٤) ٠

أطال أناته مثلاً على فرعون ، الذى وعد مراراً و لم يف ٠

كم صبر الله عليه فى قسوته و إذلاله للناس ٠ و صبر عليه فى الضربات ، ليس فى واحدة فقط ، و إنما فى عشر ضربات ٠٠ فى كل ضربة ، كان يصرخ فرعون و يقول أخطأت (خر ٩ : ٢٧) (خر ١٠ : ١٦) ٠٠ و كان يعد بالتوبة و يرجع ٠٠ الله يطيل أناته ٠٠!

إن طول أناة الله ، إنما تقتاد الخاطئ إلى التوبة ٠ فإن لم يتب ، يتعرض لعقوبة الله ٠

و هكذا ينذر القديس بولس الرسول فيقول للخاطئ " أم تستهين بغنى لطفة و إمهاله و طول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ٠ و لكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب " (رو ٢ : ٤ ، ٥) ٠

فلا تظن إذا أخطأت كثيراً ولم تنلك عقوبة ، أن عدل الله قد كف عن العمل ٠

بلا ربما إن كأسك لم تمتلئ بعد ٠٠ كما قال الرب مرة " لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً " (تك ١٥ : ١٦) ٠٠ كذلك لما أكتمل كأس سادوم ، حرقها الرب بنار " (تك ١٩) ٠

الله يطيل أناته ، لأن هذه هى طبيعته ٠

و طول أناته أما تقتاد إلى التوبة ، أو إلى الدينونة ٠

و لعل من الأمثلة الجميلة لطول أناة الله ، قصة تلك التينة التى ظلت ثلاث سنوات فى الكرم ، دون أن تنتج ثمراً و جاءت فكرة قطعها بدلاً من أن تبطل الأرض ٠ و لكن قيل :

" اتركها هذه السنة أيضاً ، حتى انقب حولها و أضع زبلاً " ٠

" فإن صنعت ثمراً ، و إلا ففيما بعد نقطعها " (لو ١٣ : ٦ – ٩) ٠ حقاً إن طول الأناة تعطى فرصة أخرى ، فرصة لإصلاح الحالة ٠

لقد أطال الرب أناته على الشعب فى البرية ، على لرغم من أنه كان شعباً صلب الرقبة ، كثير التذمر ، كثير التقلب ٠٠ قال عنه الله " مددت يدى طول النهار ، لشعب معاند مقاوم " (رو ١٠ : ٢١) ٠ و مع ذلك أطال أناته عليه ، و أبقى منه بقية قال عنها اشعياء النبى
" لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية ، لصرنا مثل سادوم و شابهنا عمورة " (أش ١ : ١٩) ٠

و من أمثلة طول أناة الله معاملته لأهل السامرة ٠

فى مرة إحدى قرى السامرة أغلقت أبوابها فى وجهه ، لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم ٠ فقال له تلميذاه يعقوب يوحنا أتشاء أن تنزل نار من السماء فتفنيهم ٠ أما طول أناة الرب على السامرة فلم تفعل هذا ٠ بل انتهر تلميذيه قائلاً : لستما تعلمان من أى روح أنتما ٠ لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو ٩ : ٥٢ – ٥٦) ٠ و جاء الوقت الذى خلصت فيه مدينة السامرة ، و تعمدت و قبلت الروح القدس (أع ٨ : ١٤ – ١٧) ٠

عجيبة هى طول أناة الله على مضطهدى الكنيسة ٠

و لعل فى مقدمتهم شاول الطرسوسى الذى قال عن نفسه " أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً و مضطهداً و مفترياً ٠ و لكنى رحمت لأنى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان " (اتى ١ : ١٣) ٠
شاول هذا الذى " كان ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب ٠٠ حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساء ، يسوقهم موثقين إلى أورشليم " ٠٠ (أع ٩ : ١ ، ٢) ٠ شاول هذا أطال الله أناته عليه ، حتى أصبح صعباً عليه أن يرفس مناخس ٠ و ظهر له فى الطريق إلى دمشق ودعاه إلى خدمته ٠ و أصبح إناءاً مختار له (أع ٣ – ١٦) ورسولاً للأمم ، و تعب أكثر من جميع الرسل فى خدمة الله (١كو ١٥ : ١٠) ٠
يقيناً لو لم يطل الله أناته على شاول الطرسوسى ، لفقدت الكنيسة هذا الإنسان الجبار فى خدمته ، بولس الرسول ٠

أطال الله أناته على أريانوس والى أنصنا ،الذى كان قاسياً جداً وعنيفاً فى الأضطهاد القديسين أيام ديوقلديانوس الملك ، و على يدية استشهد كثيرون ٠ ون بطول أناة الله آمن أريانوس ، بل و صار شهيداً ، تحتفل الكنيسة بذكراه ٠٠

و أطال الله أناته على كثير من الخطاة ٠

أمثال أوغسطينوس ، و مريم القبطية ، بيلاجية ، و موسى الأسود، كثيرين غيرهم ، و بطول أناة الله تاب هؤلاء كلهم ٠ بل صاروا أنوار فى الكنيسة يبعثون الرجاء فى قلب كل تائب ٠ فاوغسطينوس صار أسقفاً و أحد معلمى الكنيسة الكبار ٠ و موسى الأسود صار من كبار آباء الرهبنة ٠ و مريم القبطية توحدت و صارت من السواح ٠٠ ترى لو لم يطل الله أناته على هؤلاء ، كانت نفوسهم تهلك ؟! و تخسر الكنيسة كل بركاتهم ٠٠ !!

أيضاً أطال الله أناته على كثير من الملحدين و الوثنيين ٠

أطال أناته على روسيا البلشفية ، حتى عاد أكثر من مائة مليون إلى الإيمان ، و كذلك رومانيا و كثير من بلاد الإتحاد السوفيتى ، فأمن كل هؤلاء و فرحوا بالرب ٠ و فى بدء المسيحية أطال أناته على كثير من فلاسفة الوثنية ، حتى صاروا فلاسفة مسيحيين ٠ بل أطال أناته على بعض السحرة ، فآمنوا و مثال ذلك أثناسيوس الساحر الذى جهز سماً مميتاً تناوله القديس مارجرجس فلم يؤذه و سيدراخس الساحر الذى جهز سماً للقديس أباقسطور ٠ فلم يؤذه ايضاً ٠ فأمن كل من هذين الساحرين ، و نالا إكليل الشهادة ٠ كان الله قد أطال أناته على كل منهما ٠ إلى أن أتى الوقت الذى يشعر فيه كل منهما بأن هناك قوة أقوى من سحره فيؤمن ٠٠

إن الله ليس فقط يطيل أناته على الخطاة حتى يتوبوا ، إنما أيضاً هو طويل الأناة من جهة تدبير الأوقات ٠٠

إنه يختار الموعد الذى يراه مناسباً ليعمل فيه ، و يدبر خططه الإلهية الحكيمة ٠ و لعل من أمثالة ذلك تدبير قضية الفداء ٠٠

لقد وعد أبوينا الأولين بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) ٠ و مرت آلاف السنين ، و الحية رافعة رأسها تسحق عقب الآلاف من البشر بل الملايين ٠٠ و بطول أناة عجيبة كان الرب ينتظر ملء الزمان الذى يتم فيه التجسد (غل ٤ : ٤) ٠

طول أناته انتظرت الوقت الذى توجد فيه العذراء القديسة التى تستحق هذا المجد و تحتمله ، و الوقت الذى يوجد فيه يوحنا المعمدان الذى يهيئ الطريق قدامه ، وأيضاً الذى فيه يوجد الأثناء عشر الذين يحملون الرسالة من بعده ٠ و تكون النبوءات كلها قد تمت مع باقى تفاصيل أخرى تجعل اختيار الوقت مناسباً ، كله حكمة ٠٠

إذن لا يحتج أحد و يقول : لماذا يارب قد تأخر عمل الفداء ؟!

كلا ، إنه لم يتأخر مطلقاً ، بل جاء فى نفس موعده الذى حدده الله من قديم الزمان ٠و كانت أناة الله تمهد لإعداد كل شئ ٠ و تمهد أيضاً لفهم الناس و قبولهم ٠ و لو كان الفداء قد تم منذ أيام آدم ، ما كان أحد قد فهمه و لا قبله و لا آمن به إننا نحاول أنفهم الأزمنة بعقلنا القاصر ٠ و الرب يقول : " ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة و الأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه " (أع ١ : ٧) ٠

ليس لنا أن نستعجل الله فى العمل ، أو نقول له كما سبق و قال داود ، تأكد أن الله فى طريقه إليك ، حتى قبل أن تطلب ٠ و سوف تصل معونته فى أفضل وقت مناسب ٠٠

أنظروا إلى قصة يوسف الصديق مثلاً :

ألقاه أخوته فى البئر ، و لم يفعل الرب شيئاً لإنقاذه منهم ٠ و باعو ه كعبد ، يبدو أن الله لم يتحرك ٠ ثم يتهم يوسف ظلماً و يلقى به فى السجن ، تمر سنوات ٠٠ فهل كان الله قد أهمله و تركه ؟! كلا ٠ بل إن الله فى طول أناته ، يعد و يدبر الأوقات و المناسبات التى يحول فيها يوسف إلى وزير أو أمير ٠

و لو كان الله قد حل مشكلة يوسف ، من وقت إلقائه فى البئر ، لظل يوسف مجرد راع بسيط ٠٠ !

قلنا إن الله طويل الأناة ٠ و نقول ايضاً إنه يعلم أولاده طول الأناة أيضاً ، يدربهم على ذلك ٠

اتفق الله مع إيليا على إنزال المطر ، بعد ثلاث سنوات و نصف من المجاعة ٠ و ذهب إيليا و صلى من أجل ذلك مرة و مرتين و ثلاثاً ٠٠ إلى سادس صلاة ، و لم ينزل المطر! و لم ييأس إيليا و و استمر فى الصلاة بطول أناة ٠ و فى الصلاة السابعة ، رأى غيمة فى حجم قبضة اليد (١مل ١٨ : ٤٤) ٠ فعرف أن صلاته قد استجيب ٠٠

من ثمر الروح

(4)
طول الأناة
ب- عند البشر

تكلمنا عن طول الأناة عند الله ٠ و نود أن نتكلم الآن عن طول الأناة عندنا نحن البشر مادمنا قد خلقنا على صورة الله ، كشبهه و مثاله (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) ، إذن ينبغى أن نكون شبهه فى طول الأناة ٠ من منا لم يطل الله أناته عليه ، و لم يأخذه و هو فى عمق خطاياه ؟! ليتنا إذن نتعامل من الناس بنفس الأسلوب ، بطول الأناة ٠ لأن الكتاب يقول " بالكيل الذى به تكليون ، يكال لكم " (مت ٧ : ٢) ٠

هناك من يتضايق من معاملات الناس و أسلوبهم الذى لا يستطيع أن يحتمله ٠ يقول لقد نبهت فلاناً من الناس أن يغير أسلوبه فى التعامل معى ، ولم يغيره ! وربما تقول زوجة هذا الكلام عن زوجها

و للناس طباع يحتاجون فى تغييرها إلى طول أناة ٠

ليس من السهل عليهم أن يغيروا طباعهم بسرعة ٠٠ ربما يريدون و لا يستطيعون ٠ و قد يغلبهم الطبع فتتكرر أخطاؤهم عن قصد أو غير قصد ٠ و قد لا يشعرون أن ما يفعلونه خطأ ٠٠

عاش التلاميذ مع السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات ٠ يتعلمون منه ٠ و كما قال لهم " تعلموا منى ، فإنى وديع و متواضع القلب " (مت ١١ : ٢٩) ٠ و مع ذلك فإنه عند القبض عليه ، ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف ، فقطع أذنه (يو ١٨ : ١٠) فوبخه السيد قائلاً : رد سيفك إلى غمده ، لأن الذين يأخذون بالسيف يهلكون " (مت ٢٦ : ٥٢) ٠

إن القديس بطرس الرسول لم يستطع أن يقاوم طبع الإندفاع الذى كان عنده ، و غلب منه مرات ٠ و احتاج إلى طول أناة من الرب أن يحتمله ، حتى وقت غسل الأرجل (يو ١٣ : ٦ – ١٠) ٠ وبنفس الإندفاع تكلم و أخطأ حينما قال السيد المسيح إنه سوف " يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة و الكتبة و يقتل و فى اليوم الثالث يقوم " (مت ١٦ : ٢١) ٠ كل التلاميذ سكتوا ، أما بطرس فلم يستطع أن يقاوم اندفاعه ، و انتهر السيد قائلاً " حاشاك يا رب " ٠ فوبخه الرب على ذلك القديس موسى الأسود أيضاً إحتاج إلى طول أناة عجيبة من معلمه القديس أيسوذورس ، حتى يتغير طبعه و حتى يصير قديساً تائباً وديعاً و معلماً لكثيرين ٠٠٠

بطول الأناة ، لا يملكنا الغضب على الخطاة ٠

و فى هذا قال الكتاب " ليكن كل إنسان مسرعاً فى الإستماع ، مبطئاً فى التكلم ، مبطئاً فى الغضب ٠ هذا الإبطاء يعنى طول الأناة فى الإستماع إلى الناس ، و إعطاء فرصة للعقل أن يتدبر الأمرفى حكمة ، يهدئ نفسه فلا يخطئ ٠٠ الإنسان الطويل الأناة هو إنسان بطئ الغضب ٠

إن الله كان يطيل أناته علينا ، لأنه يعرف ضعف طبيعتنا ٠

يقول داود النبى فى ذلك " لا يحاكم إلى الأبد ، و لا يحقد إلى الدهر ٠ لم يصنع معنا حسب خطايانا ، و لم يجازنا حسب آثامنا ٠٠ لأنه يعرف جبلتنا ٠ يذكر أننا تراب نحن " (مز ١٠٣ : ٩ – ١٤) ٠ فليتنا نعمل بعضنا بعضاً بنفس الأسلوب ، بطول أناة ، واضعين أمامنا ضعف الطبيعة البشرية و إمكانية سقوطها ٠ فقد قيل عن الخطية إنها " طرحت كثيرين جرحى ، و كل قتلاها أقوياء " (أم ٧ : ٢٦) ٠

فى التربية و الخدمة

البعض يتعب و قد ييأس ، إن بم تأت الخدمة ثمارها بسرعة ٠ و قد يصفها – طالماً – بأنها خدمة فاشلة ٠ بينما تحتاج إلى طول بال التنمو فى هدوء ٠٠ كم من السنين قضى المسيح فى خدمة التلاميذ و إعدادهم ٠ و بعد أكثر من ثلاث سنين ، أمرهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالي (لو ٢٤ : ٤٩) تأمل الشجرة كيف أنها لا تعطى ثمراً إلا بعد سنوات :

و الغارس يطيل أناته عليها حتى تعطى ثمرها فى حينه " ٠ و كل شجرة لها طبيعتها ٠ فمنها التى تثمر بعد ثلاث سنوات ، و التى تعطى ثمراً بعد خمس سنوات أو بعد سبع ٠ و الغارس فى كل ذلك الأنتظار لا يقلق ، بل يتدرب على طول الأناة ٠

الطفل هو تدريب آخر فى طول الأناة ٠

المرأة تحبل ٠ و تظل ٩ أشهر فى إنتظار ولادة طفلها ٠ الذى ينمو تدريجياً فى بطنها ، حتى يكتمل نموه فيخرج ٠ و قد ترك هذا الأمر تأثيره فى القديس يوحنا ذهبى الفم ، فقال : إن كان الجنين يأخذ فترة حتى جسدياً ، فكم بالأولى الإنسان لينمو روحياً ، يحتاج إلى زمن وطول أناة
كذلك فالطفل يحتاج إلى فترة حتى يمشى وحتى يتعلم ٠ و نحن لا نطالبه بما هو فوق مستواه ، بل نطيل آناتنا عليه ٠ و نفرح بتدرجه فى القامة و فى المعرفة ٠

أيضاً يلزم طول الأناة فى الكرازة و الخدمة و التعليم ٠

و كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس " عظ بكل أناة و تعليم " (٢تى ٤ : ٢) ذلك لأن الناس قد لا يحتملون أحياناً الدرجات العالية فى الروحيات إن كانوا لم ينضجوا بعد ٠ و هكذا قال الرسول لأهل كورنثوس " سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون ٠ بل الآن أيضاً لا تستطيعون ٠ لأنكم بعد جسديون " (١كو ٣ : ٢ ، ٣) ٠ و بنفس الأسلوب و طول الأناة ، رأى الآباء الرسل " ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم ٠بل
و السيد المسيح له المجد وبخ الكتبة و الفريسيين " لأنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ، و يضعونها على أكتاف الناس " (مت ٢٣ : ٤) ٠

لذلك فالمستويات العالية من التعليم ، لا تعطى لكل أحد ٠

و إنما التدرج أو الأناة فى التعليم ، هو الذى يأتى بنتيجة ٠ و إن لم يستطع البعض أن يمارس تدريبات روحية معينة ، فلا تقسوا عليهم و لا تنتهروهم بشدة ، إنما اصبروا عليهم و شجعوهم و كما قال الرسول :

شجعوا صغار النفوس ٠ اسندوا الضعفاء ٠ و تأنوا على الجميع " (١تس ٥ : ١٤) ٠

فإن خدم خادم فصلاً ، ووجد تلاميذ لا يتحسنون بسرعة ، فلا ييأس ، و لا يتهم نفسه بأنه لا يصلح للخدمة ٠ كما لا يتهم المخدومين بأنه لا فائدة ترجى منهم ! كلا ، يا أخى ، ليس العيب فيك و لا فيهم ٠ إنها طبيعة الخدمة تحتاج إلى وقت و طول بال ٠ لذلك تأن عليهم ، و لا تظن أن طباع الناس تتغير فجأة بكلمة أو بنصيحة !
إن الدجاجة تلزمها فترة تحتضن فيها البيض ، حتى ينضج و تخرج فراخه ٠ و البذار لابد أن تقضى فترة فى الأرض ، حتى تخضر و تنمو ، و تصير شجراً و تثمر ٠ و كل هذا يحتاج إلى طول بال و انتظار ٠٠فانتظر إذن و اصبر ٠ فإن الكتاب يقول :

" من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص " (مت ١٠ : ٢٢) ٠ و يقول أيضاً " بصبركم تقتنون أنفسكم " (لو ٢١ : ١٩)

لقد قال داودالنبى " انتظرتنفسى الرب ، من محرس الصبح حتـــى الليـــل " (مـــز ١٣٠ ٦ ، ٧) ٠ يقصد من البداية حتى التمام ، بل طول أناة

فى الصلاة

الإنسان الطويل الروح يصلى ، و لا يقلق من جهة استجابة الله لصلاته ٠ يكفى أن الله قد سمعها ٠ نترك الأمر إذن لمحبته ٠٠ هو يستجيب الصلاة فى الوقت المناسب ، و بالطريقة المناسبة ، حسب حكمته و حسن تدبيره و تقديره للأوقات ٠٠

هناك أشخاص ليس لهم طول أناة فى الصلاة ٠ لا ينتظرون الرب ٠ و مع ذلك يعاتبون الله كثيراً ٠ و يكادون يغلطونه أحياناً !!

و يقولون : يارب أنت ٠٠ و أنت ٠٠ و هو يطيل أناته عليهم و على عتابهم ٠٠يحتاج الأمر منهم إلى الإيمان بعمل الرب لأجلهم ٠٠

أحياناً يتباطأ الرب فى الإستجابة ، أو يخيل غلينا أنه تباطأ ٠ و ذلك لكى يدربنا على السبر و الإيمان ٠ فلا يأتى إلا فى الهزيع الأخير من الليل ٠٠ و لا يفتقد العمال إلا فى الساعة الحادية عشرة مـــن النهار ! (مت ٢٠ : ٦ ، ٧) ٠ كل ذلك لكى يعلمنا أن ننتظر الرب ، و لكى نتدرب على طول البال ، هذه الصفة التى هى من صفات الله

أحياناً يبدو الله طويل البال فى حل المشاكل !!

ذلك لأن صاحب المشكلة يكون قلقاً و منزعجاً ، و يريد حلها فى التو و اللحظة ٠ و ليس لديه طول بال و لا صبر على حل المشكلة ٠٠ بينما يكون الله قد استلم المشكلة ، و بدأ فعـــلاً فـــى حلهـــا ، بالأسلوب الذى يتناسب مع حكمته فى التدبير ٠٠ طول بال الله ، إنما يقودك إلى اللجاجة فى الصلاة ، و ليس إلى القلق ٠٠

مضار عدم طول الأناة

الإنسان الذى ليس له طول البال ، يقع فى القلق و الضجر و الإنزعاج ٠ و تتعب نفسيته و يفقد سلامه الداخلى ٠٠

يقلق بسرعة ، كشخص فى كل دقيقة أو لحظة ينظر إلى الساعة !

*و قد يصاب الإندفاع و التسرع ، مما يسبب له نتائج رديئة !

*والذى ليس له صبر ، و لا طول أناة ، ربما فى تسرعه يأخذ قـــرارات أو مواقـــف ارتجاليـــة أو هوجائية ٠ كالشخص الذى يرى أن الله لم يستجب صلواته ، فيقسم أنه لن يدخل الكنيسة !! إحتجاجاً منه على الله ٠٠!

***قد يقود القلق و عدم طول البال إلى الإعتماد على الذارع البشرى و الحكمة البشرية الخاطئة ٠**

مثال ذلك حينما ظن أبونا إبراهيم أن الله لم يعطه نسلاً حسبما وعده ، فلجأ إلى الحكمـــة البشـــرية ليتخذ هاجر زوجة له تنجب له إبناً (تك ١٦ : ١-٤) ٠٠ أو لم يجد أن نسله لم يصر مثل نجـــوم السماء فى الكثرة ، فأخذ قطورة زوجة فولدت له بنين كثيرين (تك ٢٥ : ١ - ٤)

و العجيب أن الطريق البشرية قد تأتى بنتائج سريعة ، و لكنها ليست حسب مشيئة الله التى قد تتأخر و لكن فى حكمة و بركة و منفعة ٠

طريقة الله هادئة ، و تسير خطوة ، حتى تصل بسلام ٠٠

*هناك أشخاص ليس لهم بال حتى فى الكلام مع الناس ، فيقاطعون غيــرهم ، و لا يســتطيعون أن ينتظروا إلى أن ينتهى مخاطبهم من كلامه لكى يتابعوه بعد ذلك

*و قوم ليس لهم طول بال فى حل مشاكلهم ، فيلجأون إلى أهل السحر و الشعوذة ، لعلهم يجــدون عندهم العون و الحل !!

هكذا قال الكتاب " و أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ، طول أناة لطف .." . وقد تحدثنا فى الأبواب السابقة عن المحبة و الفرح و السلام ، و نود أن نحدثك الآن عن اللطف ..
قال الرسول عن السيد الرب " .. أم تستهين بغنى لطفة وإمهاله و طول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنها يقتادك إلى التوبة " (رو ٢ : ٤). إذن من لطف الله أنه يطيل أناته علينا ، لكى بلطفة و طول أناته يقتادنا إلى التوبة .. و يقول الرسول أيضا " حين ظهر لطف الله مخلصنا و إحسانه ، بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى و تجديد الروح القدس " (تى ٣ : ٤ ، ٥) . إذن مغفرة الله التى قدمها لنا فى الفداء والمعمودية هى دليل على لطفة ورحمته و أحسانه ..

اللطف هو من صفات الله فى معاملته للبشر . و هو أيضاً من صفات رسله .

و هكذا قال القديس بولس الرسول فى خدمته للرب هو و جميع العاملين معه " فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير .. فى أتعاب فى أسهار فى أصوام ، فى طهارة فى علم ، فى أناة فى لطف .. " (٢كو ٦ : ٤ – ٦) .

و دعانا الآباء الرسل إلى السلوك بلطف :

فقال القديس بولس الرسول " كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض " (أف ٤ : ٢٢) . و قال أيضاً " إلبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات و لطفاً و تواضعاً ووداعة و طوال أناة " (كو ٣ : ١٢) . و هنا نلاحظ أن هذه الفضائل ترتبط ببعضها البعض : اللطف مع الواعة و التواضع و الرأفة و طول الأناة .
ويقول القديس بطرس الرسول " كونوا جميعاً متحدين فى الرأى ، بحس واحد ، ذوى محبة أخوية ،مشفقين لطفاء ، غير مجازين عن شر بشر ، أو عن شتيمة بشتيمة ، بل بالعكس مباركين " (١بط ٣ : ٨ ، ٩) .

و لعلنا هنا نسأل : ما هو اللطف و صفاته ؟ و كيف يسلك اللطفاء ؟

اللطف هو كل هذه الفضائل التى ذكرها الكتاب مجتمعة . و هو ثمرة طبيعية لحياة الوداعة و الرقة و البشاشة و الإتضاع ، و البعد عن الخشونةو العنف و القسوة و التعالى . و مادام هو من ثمر الروح ، إذن فهو من ثمر " الروح الوديع الهادى " (١بط ٣ : ٤). و هكذا يكون الإنسان اللطيف هناك أشخاص – للأسف الشديد – يظنون أن الحياة الروحية هى مجرد صلاة و صوم ، بينما بطريقة منفرة فى معاملة الآخرين !! و لكننى أقول :

إن لم تكن لطيفاً فى تعاملك ، فأنت شخص غير متدين على الإطلاق .

ذلك لأن اللطف من ثمر الروح كما يقول الكتاب (غل ٥ : ٢٣) . فالذى ليس فى حياته هذا الثمر – أى اللطف – لا يكون إنسانا روحياً ، لأنه لا يسلك بطريقة روحية .. كونوا إذن " لطفاء بعضكم نحو بعض " (أف ٤ : ٢٢) .

هذا اللطف نراه فى معاملة الأب مع الابن الضال ، و أخيه الضال الأكبر .

الابن الضال جاء إلى ابيه يطلب منه أن يعطيه نصيبه من الميراث ! فلم ينتهره الأب و لم يقل له : كيف هذا يا ابنى ؟! كيف ترثنى و أنا حى ؟! إنما بكل لطف و هدوء قسم ماله و أعطاه نصيبه .. و لما أنفق هذا المال بعيش مسرف ، احتاج وجاع ، و عاد إلى أبيه معترفاً بأنه أخطاء ، قلبه الأب بفرح ، بل لما رآه من بعيد ، و قبل أن يعترف " تحنن الأب ، و ركض ووقع على عنقه و قبله " (لو ١٥ : ٢٠) . و ألبسة الحله الأولى ، يجعل خاتماً فى أصبعه ، وذبح له العجل المسمن ، و فرح برجوعه .. أى لطف هذا فى معاملة .

باللطف لم يكسر نفسه فى رجوعه ، و لم يخجله ، و لم يوبخه .

و أيضاً الابن الأكبر حينما غضب لإكرام أخيه العائد ، ورفض أن يدخل البيت و أن يشترك فى الفرح بعودة أخيه ٠٠ و لكنه تمادى واتهم الآب بالبخل و عدم العدل ، و قال له " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، و قط لم أتجاوز وصيتك ٠ وجدياً لم تعطنى لأفرح مع أصدقائى ٠ و لكن لما جاء ابنك هذا الذى أكل معيشتك مع الزوانى ، ذبحت له العجل المسمن !! " " ٠ و لم يغضب الأب لهذا العتاب القاسى بكل ما فيه من أخطاء ٠ و بكل لطف أجابة " يا ابنى أنت معى فى كل حين ٠ و كل مالى فهو لك ٠ و لكن كان ينبغى أن نفرح و نسر ، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش ، و كان ضالاً فوجد" (لو ١٥ : ٢٥ – ٣١) ٠

لم يحاسبه و لم يعاتبه على اتهاماته له و لأخيه ، و إنما فى لطفة ، رد عليه إيجابياً " أنت ابنى " كل مالى فهو لك " " كان ينبغى أن نفرح ٠٠"

القلب العامر باللطف لا يوبخ كثيراً ٠ و إن وبخ لا يستخدم كلاماً جارحاً ٠

و لنا مثال على ذلك موقف سيدنا يسوع المسيح من تلميذه بطرس الذى أنكره ثلاث مرات ، و سب و لعن و قال عنه : لا أعرف الرجل (مت ٢٦ – ٧٤) ٠ فلما التقى به الرب بعد القيامة ، وأراد أن يوبخه على انكاره ، لم يذكره بأنه أنكره ثلاث مرات ، أنه حلف و سب و لعن و قال لا أعرف الرجل ! و إنما قال له ثلاث مرات " يا سمعان بن يونا ، أتحبنى أكثر من هؤلاء " ٠ و فى كل مرة يجيب فيها بطرس بعبارة إنى أحبك ، كان يقول له " أرع غنمى " أو " ارع خرافى " ٠ و أحس بطرس بهذا التوبيخ اللطيف و حزن ٠ و قال له " يارب ، أنت تعلم كل شئ ٠ أنت تعرف أنى أحبك " (يو ٢١ : ١٥ –١٧)

حقاً ٠ إن القلب العامر باللطف ، يكسب الناس بلطفة ٠

لقد استطاع الرب أن يكسب زكا العشار ، و المرأة السامرية ، و الخاطئة المضبوطة فى ذات الفعل ، و تلك التى بللت قدميه بدموعها و مسحتهما بشعر رأسها ٠٠ كل أولئك كسبهم باللطف ٠ عاملهم بلطف ٠ لم يوبخ أحداً منهم ، و لم يستخدم التوبيخ و الكلام القاسى ٠٠ ما أشد قسوة بعض (المتدينين) فى معاملتهم للخطاة ، أو من يظنونهم خطاة ٠٠ ! و ما أكثر ما يستخدمون من عبارات جارحة فى توبيخهم ! و يسحبون أن هذا غيره مقدسه منهم و شهادة الحق ! و أنهم يقودونهم بهذا إلى التوبة ٠ و لكن السيد المسيح لم يكن هكذا ، بل قيل عنه :

" لا يخاصم و لا يصيح ، و لا يسمع أحد فى الشوارع صوته ٠ قصبة مرضوضة لا يقصف ، و فتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت ١٢ : ٢٠) (إش ٤٢ : ٣) ٠

لم يذكر زكا العشار بشئ من كل أخطاء ماضية ٠ بل وسط الزحام ، وقف عنده بالذات ، و ناداه باسمه ، ودعا نفسه أن يدخل بيته و يبيت عنده٠ و لما " تذمر الجميع قائلين إنه دخل ليبيت عند جل خاطئ " ٠ دافع السيد المسيح عن زكا قائلاً إنه هو أيضاً ابن لإبراهيم ٠ و أعلن أنه " اليوم حصل خلاص لهذا البيت " (لو ١٩ : ٥ – ٩) ٠ ترى لو وبخ زكا ، أكان سيكسبه ؟! كلا ، بل باللطف قد كسبه ٠٠

فرق كبير بين القسوة التى توبخ الإنسان على خطاياه ، و بين اللطف الذى يجعل الخاطئ من تلقاء ذاته يعترف بخطاياه و يتوب عنها ٠

و هذا هو ما حدث مع زكا ٠ لم يقل له السيد إنه خاطئ ، بل قد يجعله مستحقاً أن يبيت الرب فى بيته ، على الرغم من سمعته الرديئة٠ و بهذا اللطف قال زكا " ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين ٠ و إنه كنت قد و شيت بأحد أرد أربعة أضعاف " (لو ١٩ : ٨) ٠

و بالمثل فى معاملة الرب للسامرية :

لم يوبخها على خطاياها و سيرتها البطالة ٠ و لم يلق عليها درساً فى التوبة و العفة ٠٠ إنما بكل لطف ، حدثها عن الماء الحى ، و عن السجود لله بالروح و الحق (يو ٤ : ١٤ ، ٢٣) زوجها ٠

إنما علاقة ذلك الرجل بها ، علاقة لا توصف إلا بكلمة جارحه لم يسمح الرب أن يقولها لكيلا يخدش شعورها ٠ بل قال " حسنا قلت إنه ليس لك زوج ٠ لأنه كان ذلك خمسة أزواج ٠ و الذى لك الآن ليس زوجك ٠ هذا قلت بالصدق " (يو ٤ : ١٦ – ١٨) ٠

و هكذا جعل الإعتراف المتعب بين مديحين : سبقه بعبارة مديح هى " حسنا قلت " و ختمه بعبارة مديح " هذا قلت بالصدق " ٠

فعلى الرغم من حياتها الخاطئة ، وجد فيها شيئا يستحق المديح ، فمدحها عليه ٠ و بهذا اللطف أقتادها إلى التوبة ، بل إلى الإيمان ايضاً ، و إلى التبشير بهذا الإيمان ٠٠ فقالت له المرأة " ياسيد ، أرى أنك نبى " ٠ و ذهبت تبشر به بين شعبها قائلة " تعالوا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت ٠ ألعل هذا هو المسيح " (يو ٤ : ٢٩) ٠٠ و هكذا كسبها المسيح و كل أهل مدينتها إلى الإيمان (يو ٤ : ٤٢) ٠

و بنفس اللطف عامل السيد الرب المرأة المضبوطة فى ذات الفعل ٠

كان الكتبة و الفريسيون حولها كالوحوش يريدون رجمها ، و يريدون منه أن يوافق على ذلك حسبما تقول الشريعة ٠ أما هو – فبكل لطف – دافع عن هذه المرأة الذليلة الخجلى ٠ ووبخ المطالبين برجمها قائلاً لهم " من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر " (يو ٨ : ٧) ٠ " و انحنى إلى أسفل ، و كان يكتب على الأرض " و لعله كان يكتب على الأرض خطايا كل منهم ٠ نعم ، إن كانت هذه المرأة قد ضبطت فى ذات الفعل ، فلابد أنه كان هناك رجل يخطئ معها فى ذات الفعل ايضاً ٠ و كما قال الشاعر فؤاد بليبل عن مثل هذه المرأة :

و دعوك بائعة الأثيم من الهوى كذبوا فإن الذنب المشترى

و بعد أن أنقذ السيد هذه المرأة من الذين أدانوها ، و مضوا جميعاً ٠٠ قال لها " و أنا أيضاً لا أدينك ٠ اذهبى و لا تعودى تخطئى أيضاً ٠٠

ما كان ممكنا لهذه المرأة أن تجد شخصاً لطيفاً كهذا ، ينقذها من الرجم ، و يدين طالبى رجمها فينصرفون ٠ و يقول لها " و لا أنا أدينك ٠٠ "

و بنفس اللطف عامل الخاطئة التى غسلت قدميه بدموعها ٠

لم يقل لها كلمة واحدة جارحة ، بل قال لها مغفورة لك خطاياك (لو ٧ : ٤٨) ٠ و أظهر لسمعان الفريسى الذى انتقدها إنها أفضل منه ، و أنها قد أحبت كثيراً ، لذلك غفر لها الكثير ٠ و ذكر لها فضائلها ٠ و هكذا فإن الرب بلطفة قد وجد فيها أشياء يمكن إمتداحها بسببها ٠ ثم قال لها أخيراً : " إيمانك قد خلصك ٠ اذهبى بسلام " (لو ٧ : ٥٠)

حقا إن اللطف يكتشف النقط البيضاء فيمتدحها ، و لا يركز على النقط السوداء

تحضرنى بهذه المناسبة قصة مدير مدرسة للطيران ٠٠

كان قد أعد الطلبة للامتحان النهائى العملى للتخرج ٠ و صعد أحد الطلبة بالطائرة ، و إذا بزمامها يفلت من يده ، بدأت تتأرجح فى الهواء بطريقة مخيفة ٠ و شعر قائدها بأنه قد فشل فى الأمتحان و لابد سيرفت من المدرسة ، فعلى الأقل فيلنقذ نفسه من الموت ٠ و هكذا جاهد حتى نزل بها إلى الأرض سالماً ٠٠ و اقبل إليه مدير المدرسة ، و قد توقع أن يسمع منه قرار الفصل ٠ و لكن مدير المدرسة شد على يده بحرارة و هو يهنئه قائلا " على الرغم من خطورة الموقف ، فإنك نجحت فى أن تنزل بالطائرة سالماً كأمهر طيار رأيته فى حياتى " ٠٠ و بهذا الكلمات اللطيفة ، أدخل الطمأنينة إلى نفسه ٠ ثم قدم له بعض النصائح ٠٠

إن القلب اللطيف لا يحتقر الضعفاء ن بل يسندهم ٠

و هكذا يقول الكتاب " شجعوا صغار النفوس ٠ اسندوا الضعفاء ٠ و تأنوا على الجميع " (١تس ٥ : ١٤) ٠ نعم ، لولا هذه المعاملة من الله لنا ، لهلكنا جميعاً ٠ إنه يقول فى مسألة المديونين اللذين على أحدهما خمسمائة دينار و على الآخر خمسون " و إذ لم يكن لهما ما يوفيانه ، سامحهما جميعاً

" (لو ٧ : ١٢) ٠ إنه لم يحتقر أورشليم المدوسة بدمها ، بل غسل عنها دماءها ، و مسحها بالزيت ، يجعل تاج جمال على رأسها ، فصلحت لملكة " (خر ١٦ : ٦ - ١٣)

بل إن الرب يعذر المخطئين - بلطفة - و يوجد لبعضهم عذراً ٠

التلاميذ الثلاثة الذين كانوا معه فى بستان جثسيمانى ، و لم يستطيعوا ان يسهروا معه ساعة واحدة عذرهم قائلاً " أما الروح فنشيط ٠ و أما الجسد فضعيف " (مت ٢٦ : ٤١) ٠ فعلى الرغم من نومهم ، قال لهم بلطفة : أما الروح فنشيط ٠ و التمس لهم عذراً من جهة ضعف الجسد ٠٠

و فى (مزمور ١٠٣) يقول الكتاب عن لطف الله و تحننه " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، و لم يجازنا حسب آثامنا " لماذا ؟ " لأنه يعرف جبلتنا ٠ يذكر أننا تراب نحن " و بنفس اللطف تصلى الكنيسة فى أوشية الراقدين ، تطلب لهم الرحمة " إذ لبسوا جسداً ، و سكنوا فى هذا العالم ٠٠ "

إن الله بلطفة ، يقدر ظروف الناس ، و طبيعتهم الضعيفة ، فيغفر ٠٠ إنهم مجرد تراب ، أثارتهم الريح ، فتحولوا إلى غبار فى الجو ٠ يصبر عليهم بعض الوقت ، حتى تهدأ الريح ، فيستقرون ٠٠

الله فى لطفة ، يسمح لأولاده أن يعاتبوه أو يجادلوه ٠ و قد يشتدون فى كلامهم ، فلا يغضب ٠ و إنما بكل لطف يعطيهم فرصة للتعبير عما فى داخلهم بكل حرية ٠

ما أعجب أن يقول له إبراهيم أبو الآباء - فى شفاعته عن سادوم - " أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً ؟ ! حاشا لك يا رب أن تفعل هذا الأمر : أن تميت البار مع الأثيم ٠فيكون البار كالأثيم ! حاشا لك " (تك ١٨ : ٢٥) ٠٠ ثم يبدأ التفاوض ٠ إن وجد فى المدينة خمسون باراً ٠٠ إن وجد ٤٥ ٠٠ إن وجد أربعون ٠٠ حتى و صل التفاهم إن وجد عشرة ابرار ، لا يهلك الله المدينة من أجل العشرة (تك ١٨ : ٢٦ - ٣٢) ٠٠ كل هذا و الرب فى لطف شديد يتلقى مفاوضة إبراهيم ، و يفسح له المجال إلى آخر حد ، حتى توقف ٠٠

نفس اللطف فى تشفع موسى إلى الله لأجل الشعب

كانوا قد عبدوا العجل الذهبى الذى صنعوه ، بعد كل المعجزات التى رأوها من الرب فى مصر و فى البرية ٠٠ و غضب عليهم الرب حتى أراد أن يفنيهم ٠ وهنا تدخل موسى ليشفع فيهم ٠ فقال للرب : لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك ؟ ! لماذا يقولون أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال و يفنيهم على وجه الأرض ٠ أرجع عن حمو غضبك و اندم على الشر (خر ٣٢ : ١١ ، ١٢) ٠ و يسمع الرب هذا الكلام ، و لا يتضايق بل يعفو ٠٠

و ارميا النبى يقول : أبر أنت يا رب من أن أخاصمك ٠ و لكنى اكلمك من جهة أحكامك ٠ لماذا تنجح طريق الأشرار ٠ إطمأن كل الغادرين غدراً (أر ١٢ : ١) ٠

لم يقل الله : من هو هذا التراب ، حتى يكلمنى من جهة أحكامى ؟! بل كيف ينسب إلى نجاح طرق الأشرار ، أو حتى السكوت على ذلك !! ٠٠ إنما استمع له فى لطف وأراحه ٠٠

ظهر لطف الله أيضاً فى معاملة يونان النبى ٠

لم يرفضه بسبب عصيانه له ، بل اقتاده إلى الطاعة بحكمة ، و انقذه من بطن الحوت ، و أعاده إلى رسالته فى انذار نينوى ٠ و لما تابت نينوى و لم يعاقبها الله " وغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ " و طلب لنفسه الموت ٠٠ عاتبه الله بلطف قائلاً هل اغتظت بالصواب ؟! (يو ٤ : ١ ، ٤) ٠ و اجتذبه بما حدث لليقطينة ٠ و شرح له لماذا قبل توبة نينوى ٠

حقا إنه بالعنف قد يخسر الشخص أحباءه ، بينما باللطف يكسب أعداءه ٠ هنا و اقول إن للطف حدوداً ٠ فإن لم يوصل إلى هدفه تبدأ العقوبة ٠

و هكذا يقول الرسول " هوذا لطف الله و صرامته ٠ أما الصرامة فعلى الذين سقطوا ٠ أما اللطف فلك ، إن ثبت فى اللطف ٠ و إلا فأنت أيضاً ستقطع " (رو ١١ : ٢٢) ٠ و فى هذا المجال نذكر مثل تلك الشجرة التى لم تعط ثمراً على مدى ثلاث سنوات و هى تبطل الأرض ٠ فلما أراد الكرام

قطعها ، قال صاحب الكرم فى لطف " اتركها هذه السنة أيضاً ، حتى أنقب حولها و أضع زبلاً ٠ وفإن صنعت ثمراً ، و إلا ففيما بعد نقطعها " (لو ١٣ : ٦ - ٩) ٠ اللطف فى تركها هذه السنة أيضاً " و الصرامة هى فى قوله " و إلا ففيما بعد نقطعها " ٠

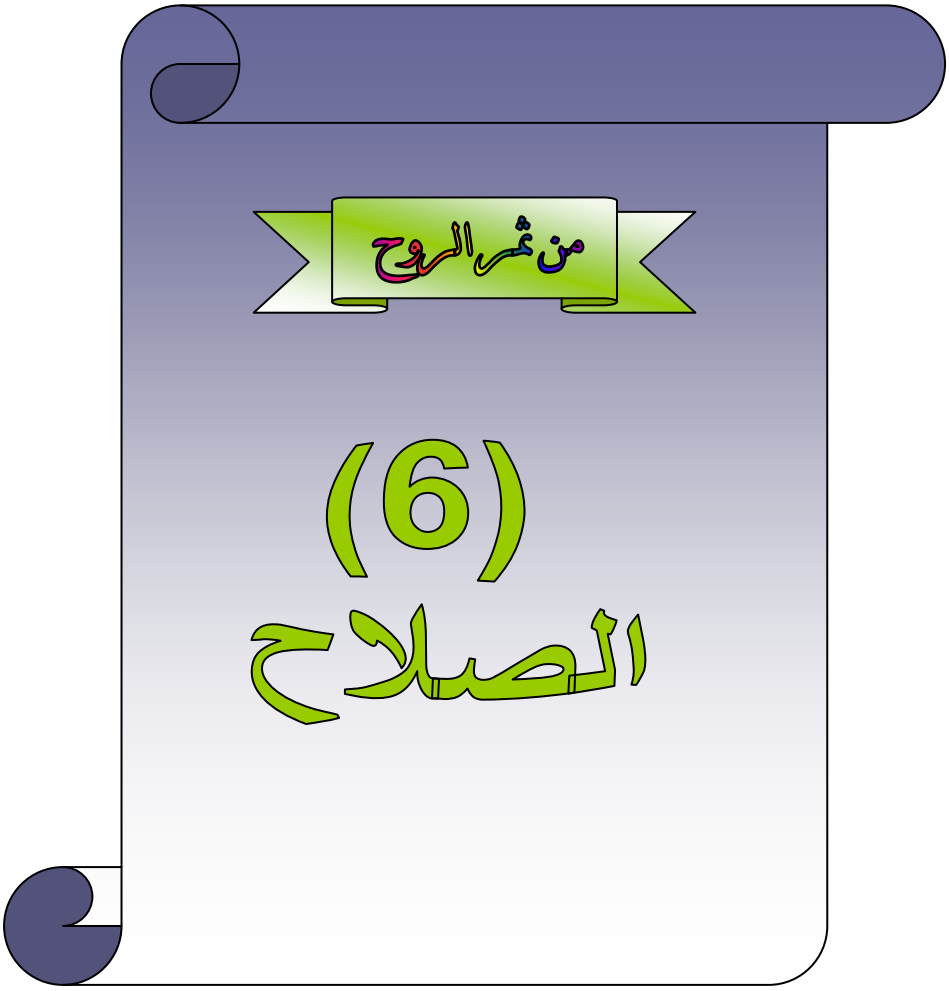

نتابع حديثنا عن ثمر الروح كما ورد (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) ٠ فنتحدث عن الصلاح ٠ و لكن كيف يمكن أن يتصف إنسان بالصلاح ، بينما يقول الكتاب " ليس أحد صالحاً إلا واحد و هو الله " (مت ١٩ : ١٧) ؟!

المقصود طبعاً هو صلاح النسبى ، ليس الصلاح المطلقة الذى هو من صفات الله وحده ٠

و المقصود بالصلاح النسبى ، أية نسبة لمدى عمل الروح القدس فى الإنسان ، و مدى إستجابة الإنسان لعمل الروح و شركته مع الروح القدس ٠ تماماً مثلما نفسر قول الرب " كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) بأن المقصود هو الكمال المطلق هو من صفات الله وحده ٠٠

و حينما نتكلم عن الصلاح ، نذكر أنه على نوعين : صلاح سلبى ، وصلاح إيجابى ٠

الصلاح السلبى هو البعد عن الخطايا ، و تمثله غالبية الوصايا العشر ، مثل : لا تكن لك آلهة أخرى أمامى ٠ لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ٠٠ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً ٠٠ لا تقتل ٠ لا تزن ٠ لا تسرق ٠ لا تشته مال قريبك ٠٠

أما الصلاح الإيجابى ، فتمثله التطويبات فى العهد الجديد : طوبى للمساكين بالروح ، للودعاء ، لأنقياء القلب ، لصانعى السلام ، للرحماء ٠ و يمثله فى العهد القديم : " تحب الرب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك و من كل قوتك " (تث ٦ : ٥) ٠ و تمثله أيضاً ثمار الروح التى نتحدث عنها و المطلوب من الإنسان أن يسلك فى الأمرين معاً : البعد عن كل أنواع الخطايا من الناحية السلبية و السلوك فى كل الفضائل إيجابياً ٠

الإنسان الذى يصل إلى كمال الصلاح، يشمئز من الخطية و ينفر منها فإن قل صلاحه ، يكون بينه و بين الخطية آخذ ورد ٠ أما إن فقد صلاحه ٠ فإنه يلتذ بالخطية و يستسلم لها ، بل قد يسعى إليها

إذن لكى يحيا الإنسان فى حياة الصلاح ، ينبغى أن يصل إلى المرحلة التى ينفر فيها من الخطية ، كما قال يوسف الصديق " كيف افعل هذا الشر العظيم ، و أخطئ إلى الله ؟! (تك ٣٩ : ٩) ٠ و يعبر عن هذا ايضاً قول القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى أن المولود من الله لا يستطيع أن يخطئ (١يو ٣ : ٩) ٠ و فعلاً ، هناك أشياء لا يستطيع الإنسان الروحى أن يفعلها ٠٠ لا يستطيع أن يلفظ كلمة نابية بذيئة ، لا يستطيع أن يكذب بل إنه يحتقر نفسه إن فعل ذلك ٠ لا يستطيع أن يقوم بأى عمل غير مهذب ٠٠ و بالتالى كلما نما فى الصلاح يجد أنه عموماً لا يستطيع أن يخطئ ٠

هناك عيب من جهة السلوك فى الصلاح أن يحكم الإنسان على بعض الخطايا بأنها خطايا بسيطة !! فيتساهل معها !!

الخطية هى الخطية سواء حكم عليها الشخص بأنها بسيطة أو كبيرة ٠ و هكذا يقول الرب : من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم (مت ٥ : ٢٢) ٠ هكذا فى باقى خطايا اللسان ، يقول " بكلامك تتبرر ، و بكلامك تدان " (مت ١٢ : ٣٧) ٠

حقا ، إنه توجد خطية ابشع من الخطية ٠ و لكن كلاً منها تتنافى مع الصلاح ٠ الإنسان الصالح لا يرتكب هذه و لا تلك ٠ فالرسول يأمرنا أن نسلك بتدقيق (أف ٥ : ١٥)

ما معنى أن الصلاح من ثمر الروح ؟

له بلاشك معنى مزدوج ٠ فهو من ثمر عمل الروح القدس فى قلب الإنسان ٠ و من ثمر روح الإنسان فى إستجابتها لعمل الروح القدس فيها ٠ أو هو ثمر لشركة الروح القدس ، أى لمشاركة روح الإنسان لروح الله القدوس ، فى الرغبة و فى العمل ٠٠

ماذا إذن عن صراع الإنسان مع الخطية ؟

هل نقول عن مثل هذا الإنسان إنه صالح ؟ إن القديس بولس الرسول يدعو إلى هذا الصراع ، و يسميه جهاداً ٠ فيلوم العبرانيين قائلاً " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) ٠ إذن فالصراع ضد الخطية أمر صالح يقود إلى الصلاح ، حينما ينتصر الإنسان على الخطية ، و يصل إلى محبة الخير التى لا تحتاج إلى صراع ٠٠

على أننا ينبغى أن نفرق بين نوعين من الصراع

صراع ضد خطية تحاربه من الخارج ٠ و هذا يحدث للقديسين من حسد الشيطان و حروبه ٠ وهو صراع لا يتنافى مع الصلاح ، بل أنه يدل على صلاح الإنسان ، و عدم قبوله الخطية التى تحاربه ٠ المهم أنه لا يستسلم ، بل يقاوم حتى الدم مجاهداً ضد الخطية النوع الثانى من الصراع ايصارع الإنسان ضد خطية تأتيه من داخله ، من قلبه ، من فكره ، من مشاعره ٠ و هذا يدل على أن الداخل لم يصل إلى النقاوة بعد ٠ لم يصل إلى الصلاح بعد ، بل يجاهد لكى يصل إليه ٠ إنه صراع صالح ، من قلب يريد أن يكون صالحاً ٠ الخطية بشعة ، الأبرار يشمئزون منها ٠ لذلك يحترس الخاطئ من إرتكابها أمام الصالحين ٠ بل يرتكبها فى الظلام ، فى الخفاء ٠

فإن كان الصالحون يشمئزون من الخطية ، فكم بالأكثر الملائكة !

لذلك حينما ترتكب الخطية ، كأنما تطرد الملائكة من حولك ، أو على الأقل الملاك الحارس ، الذى " فى مجلس المستهزئين لا يجلس ٠ إنه يحاول أن يصدك عن الخطية ، فإن اصررت عليها ، يبتعد عنك ٠ و حينئذ ينفرد بك عدو الخير ٠ فإن كانت الخطية بشعة هكذا أمام الأبرار و أما الملائكة ، فكم بالأكثر تكون بشعة أمام الله الكلى القداسة !!

لذلك من بشاعة الخطية ، إننا نرتكبها أمام الله ٠

و هكذا يقول داود النبى فى المزمور الخمسين مزمور التوبة : يقول لله " إليك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت " إذن فهى ليست فقط خطية أما الله ، إنما بالأكثر خطية إلى الله ٠٠ خطية نحزن بها روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) ٠ و لأنها خطية ضد الله ، لذلك قال يوسف الصديق " كيف افعل هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله " (تك ٣٩ : ٩) ٠

إذن فالإنسان الصالح ينفر من الخطية لأنه يوقن أنه بها يخطئ إلى الله ، و يخطئ قدام الله ، و يحزن روح الله ٠٠

قطعاً إن الإنسان – اثناء ارتكابه للخطية – يكون قد نسى أنه أمام الله ، الذى يراه و هو يرتكب الخطية ٠ لذلك فإن داود النبى قال للرب عن أمثال هؤلاء الخطاة " لم يجعلوا الله أمامهم " (مز ٥٤ : ٣) ٠ هؤلاء صنعوا الشر أمام الله و لم يبالوا ، أو أنهم لم يسبقوا أن يجعلوا الله أمامهم ٠
أما الإنسان الصالح ، فإن الله أمامه باستمرار ، يخشى أن يخطئ قدامه ٠ ما أعمق قول إيليا النبى " حى هو رب الجنود الذى أنا واقف قدامه " (١مل ١٨ : ١٥) ٠
لذلك فالذى يقول " اعترف بخطاياى أمام الله مباشرة " ! قد نسى أنه ارتكب تلك الخطايا أمام الله و لم يخجل ! فالأفضل له الإعتراف بها أمام الكاهن ، لكى يخجل منه فلا يعود إلى إرتكابها ٠٠

هناك أناس يفقدون صلاحهم ، لأنهم يستغلون طيبة الله بطريقة خاطئة ٠

إن طيبة الله ، ينبغى أن يوضع أمامها صلاح الله و قداسة الله ، و دعوته لنا إلى حياة القداسة و البر ٠ بل ينبغى أن يتذكر هؤلاء قول الرسول " أم تستهين بغنى لطفة و إمهاله و طول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ! و لكنك من أجل قساوتك و قلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب ٠ " (رو ٢ : ٤ ، ٥) ٠

* * *

إن الله من أجل محبته للصلاح ، و قيادتنا إلى الصلاح ، وضع أمامنا إمكانيات كثيرة تقودنا إلى الصلاح منها :

*أولاً خلقنا على صورته و مثاله ، فى البر و الصلاح ، و العقل و الفهم و الحكمة ٠٠ و لما فقدنا بالخطية هذه الصورة الإلهية ، قدمها لنا فى شخص الرب يسوع المسيح " الذى كما سلك ذاك ، ينبغى أن نسلك نحن أيضاً (١يو ٢ : ٦) ٠ طبعاً العمل الأساسى للتجسد الإلهى هو الفداء ، و لكن من الأغراض الإضافية تقديم الصورة الإلهية و القدوة المثالية للإنسان ٠

***أيضاً لما فسدت طبيعتنا البشرية ، قدم لنا تجديداً فى المعمودية**

فيها يصلب الإنسان العتيق ، و يقوم إنسان جديد على صورة الله ، لكيما نسلك فى جدة الحياة (رو ٦ : ٤ ، ٦) ٠ شخص جديد يخرج من جرن المعمودية مولوداً من الماء و الروح ٠ و ما أجمل و أعمق قول القديس بولس الرسول فى هذا " لأن جميعكم الذين إعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح " (غل ٣ : ٢٧) أى لبستم البر الذى فى المسيح ٠ كل هذا يقدمه لنا ، لكى نستطيع أن نسلك فى الصلاح ٠

***و أيضاً لنسلك فى الصلاح ، جعلنا هياكل لروحه القدوس :**

و هكذا قال الكتاب " أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم " (١كو ٣ : ١٦) ٠
تنال هذا بالمسحة المقدسة فى سر الميرون ٠ فيحل روح الله فى داخلك ٠ و يكرر الرسول نفس المعنى فى نفس الرسالة فيقول " أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، و أنكم لستم لأنفسكم " (١كو ٦ : ١٩)
هذا الروح القدس الذى فيك " يبكتك على خطية ٠٠ و يرشدك إلى جميع الحق " (يو ١٦ : ٨ ، ١٣) ٠ و يعلمك كل شئ ، و يذكرنا بكل ما قاله الرب (يو ١٤ : ٢٦) ٠ و هكذا يساعدك على عمل الخير ، و يقودك إلى حياة الصلاح ٠ و ماذا أيضاً

***ارسل الله لك نعمته ، لكى تعينك على الخير و الصلاح ٠**

و هذه النعمة ضمن البركة التى تختم بها الكنيسة كل اجتماع ٠ فنقول " محبة الله الأب و نعمة ابنه الوحيد و شركة الروح ، تكون مع جميعكم " (٢كو ١٣ : ١٤)
و نلاحظ أن كثيراً من رسائل القديس بولس الرسول تبدأ بهذه النعمة أو تنتهى بها ٠ فيقول " نعمة لكم و سلام من الله أبينا ٠٠ " (١كو ١ : ٣) فى بداية رسالته الأولى إلى كورنثوس ٠ و يختمها ايضاً بعبارة " نعمة الرب يسوع المسيح معكم " (١كو ١٦ : ٢٣) ٠٠ و هكذا فى باقى الرسائل ٠

هذه النعمة لا تقودك فقط إلى صلاح نفسك ، إنما تساعد أيضاً فى الخدمة لأجل صلاح الآخرين ٠

و هكذا يقول القديس بولس الرسول " و لكن بنعمة الله ، أنا ما أنا ٠ و نعمته المعطاة لى لم تكن باطلة ٠ بل أنا تعبت أكثر من جميعهم ٠ و لكن لا أنا ، بل نعمة الله التى معى " (١كو ١٥ : ١٠)

فلا تنس كل هذه الإمكانيات ، و تقول طريق الصلاح صعب ٠

حقا إن البابا الموصل إلى الملكوت هو باب ضيق (مت ٧ : ١٤) " و بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله " (أع ١٤ : ٢٢) ٠ و لكن نعمة الله قادرة أن توصلنا إلى كمال الحياة مع الله ٠ كما قال القديس بولس الرسول إلى رعاة كنيسة افسس " و الآن استودعكم يا أخوتى لله و لكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم و تعطيكم ميراثا مع جميع القديسين " (أع ٢٠ : ٣٢) ٠

***الرب يسوع المسيح نفسه معنا ، يعيننا فى طريقة ٠**

إنه يقول " ها أنا معكم كل الأيام و إلى إنقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ٢٠) ٠ و مادام يقول " بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو ١٥ : ٥) ٠ إذن اطلب منه القوة لكى تكون إنساناً صالحاً ٠ قل له " توبنى فأتوب " (أر ٣١ : ١٨) ٠ ألم يقل : اطلبوا تجدوا ٠ اقرعوا يفتح لكم " (مت ٧ : ٧)

***أيضاً من أجل قيادتنا إلى الصلاح ، أوجد الله فينا الضمير ٠**

الضمير صوت من الله فينا : يحكم و يشرع ، يوبخ و يؤنب ، ويقود إلى الخير ، و يمنعنا من الخطأ ٠ و إن استنار الضمير بالروح القدس الذى فيك ، فإنه يكون مرشداً قوياً إلى الصلاح ، و رادعاً عن الشر ٠ هذا إذا أطاع الإنسان ضميره ٠٠

و من أجل الصلاح ايضاً ، أعطانا الرب الوصايا ٠

هذه التى يقول عنها داود النبى " وصية الرب مضيئة ، تنير العينين عن بعد " (مز ١٩) " و تصير الجاهل حكيماً " و أيضاً " سراج لرجلى كلامك ، و نور لسبيلى " (مز ١١٩ : ١٠٥) ٠ فالذى يحرص على أن يسلك فى طريق الصلاح ، عليه أن يتمسك بكلمة الله التى تهديه ٠
كما قال الله ليشوع بن نون " لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ٠ بل تلهج فيها نهاراً و ليلاً ، لكى تتحفظ للعمل بكل ما هو مكتوب فيه ٠ لأنك حينئذ تصلح طريقك ، و حينئذ تفلح " (يش ١ : ٨)
و هكذا يقول الرسول " لأن كل الكتاب موحى به من الله ، و نافع للتعليم و التوبيخ ، للتقويم و التأديب الذى فى البر ٠ لكى يكون إنسان الله كاملاً ، متأهباً لكل عمل صالح " (٢ تى ٣ : ١٦ ، ١٧) ٠

*** و من أجل الصلاح ، أرسل لنا الله الأنبياء و الرعاة و المرشدين ٠**

ارسل ، أعطاهم خدمة المصالحة لكى ينادوا أن أصطلحوا مع الله (٢كو ٥ : ١٨ ، ٢٠) ٠ و قال لنا " أطيعوا مرشديكم و اخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم " (عب ١٣ : ١٧)٠ و أعطانا الله الآباء الروحيين ، الرعاة و الكهنة كل هؤلاء لقيادتنا إلى الصلاح ٠٠

***و من أجل أن نشتاق إلى هذا الصلاح ، قدم لنا و عوداً جميلة ٠**

" من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة " " أن يأكل من المن المخفى " " من يغلب فسأعطية إسماً جديداً " " و يلبس ثياباً بيضاء " و يجلس معى فى عرشى ، كما غلبت أنا و جاست مع أبى فى عرشه " (رؤ ٢ ، ٣) ٠ و أيضاً وعدنا بما لم تره عين ، و لم تسمع به أذن ، و لم يخطر على قلب بشر " (كو ٢ : ٩) ٠

***فإن لم ينفع معنا كل ما ذكرناه ، أوجد الله العقوبة ٠**

ذلك لأن هناك نوعاً من الناس لا يقودهم إلى الصلاح ، إلا الخوف ٠ على الأقل فى بداية الطريق ٠ كما قيل " بدء الحكمة مخافة الله " (أم ٩ : ١٠) ٠ و كما قال الرسول " ارحموا البعض مميزين ٠ و خلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار ٠٠ " (يه ٢٢ : ٢٣) ٠
و العقوبة موجودة من بدء خلق الإنسان ، منذ خطيئة آدم و حواء (تك ٣)٠ و له أمثلة كثيرة فى العهد القديم ٠ و فى العهد الجديد أيضاً مثلما حدث فى خطية حنانيا و سفير الذى قيل بعد معاقبتهما " فصار خوف على جميع الكنيسة و على جميع الذين سمعوا بذلك " (أع ٥ : ١١) ٠ مثل معاقبة بولس الرسول لخاطئ كورنثوس ٠ (١كو ٥ : ٥) ٠ ليس إنتقاماً و إنما " لكى تخلص الروح فى يوم الرب " ٠

نشكر الله أنه لم يأخذنا ، و نحن فى ساعة غفلة ، فى خطايانا ٠

و إنما سمح أن نحيا حتى هذه اللحظة ، معطياً لنا فرصة حتى نتوب و نسلك فى حياة صالحة كما ينبغى ، و لا نقع تحت دينونة ٠٠ هوذا الرسول يقول " لا دينونة على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو ٨ : ١) ٠ و السلوك حسب الروح هو الصلاح ٠ أما السلوك حسب الجسد فهو الفساد ٠ ذلك يقول الرسول أيضاً :

" الذى يزرعه الإنسان ، إياه يحصد أيضاً ٠ لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً ٠ و من يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية " (غل ٦ : ٧ ، ٨)٠

هذا هو إذن ثمر الروح : صلاح هنا ٠ و حياة أبدية فى العالم الآخر ٠ لأن ملكوت السموات لا يدخله إلا الصالحون ٠ أورشليم السمائية لن يدخلها دنس و لا رجس (رؤ ٢١ : ٢٧)

من ثمر الروح

(7)
الإيمان

الذى يحيا حياة روحية ، لابد أن يتصف بالإيمان ..
فقد ورد فى الكتاب أن من ثمر الروح : الإيمان (غل ٥ : ٢٣) . كما ذكر الإيمان ايضاً ضمن مواهب الروح القدس (١كو ١٢ : ٩) .

ولسنا نقصد هنا الإيمان بمعناه السطحى أو النظرى .

فالإيمان بمعناه الروحى يشمل الحياة كلها ، كما سنرى .. هذا هو الإيمان العملى . أما الإيمان النظرى ، فيشبه إيمان الشياطين ، كما قيل " أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل .و الشياطين يؤمنون و يقشعرون " (يع ٢ : ١٩) . يؤمنون بوجود الله ، و يقاومونه . لهذا فإنهم يقشعرون منه ..

هناك إيمان فى العقيدة ، و إيمان فى ممارسات الحياة العملية ..

أشخاص يظنون أنهم مؤمنون ، لمجرد أنهم يتلون قانون الإيمان فى الكنيسة . و قد تكون حياتهم بعيدة كل البعد عن الإيمان !! .. إنما الإيمان الحقيقى ، هو الذى يظهر واضحاً فى حياتنا العملية ، فى ممارستنا ، فى علاقاتنا بالله و الناس ..

هذا هو الإيمان العملى ..

فالإنسان يظهر إيمانه فى أعماله . كما يقول الكتاب " و أنا أريك بأعمالى إيمانى " (يع ٢ : ١٨) . و لذلك قيل فى الكتاب أكثر مرة " الإيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢ : ١٧ ، ٢٠) .

المطلوب إذن هو الإيمان الحى المثمر :

إن كان إيمانك حياً ، فلابد أن تظهر ثماره فى حياتك . " لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع و تلقى فى النار " (لو ٣ : ٩) . هكذا يقول الرسول " لا الختان ينفع شيئاً و لا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة " (غل ٥ : ٦) . و المحبة عبارة عن برنامج روحى طويل ، يضم فضائل عديدة ذكرها فى (ذكرها فى (١كو ١٣) .

فكيف يظهر الإيمان و ثمره فى حياتنا العملية ؟

هذا موضوع طويل ، يدخل فى تفاصيل تفاصيل حياتنا حتى يشمل حيا تنا كلها . و كيف ذلك ؟ هذا ما نود الآن شرحه ، سواء من جهة مشاعر قلوبنا ، أو من جهة علاقاتنا مع الله و الناس . و لنضرب لذلك أمثلة :

*إن كنت تؤمن أن الله كل مكان و يراك و يسمعك ، لا يمكن أن تخطئ .
لأنك سوف تستحى و تخجل من الله الذى يراك و أنت فى حالة الخطية . بل تستحى أيضاً من الملائكة الذين يرونك و من أرواح القديسين ، كما تستحى أتفعل الخطية أمام البشر الذين يرونك على الأرض .. فعدم خجلك يدل على أن إيمانك بوجود الله ورؤيته لك أثناء الخطية ، هو إيمان ضعيف ، أو غير موجود .. عكس ذلك يوسف الصديق الذى رفض أن يخطئ قائلاً : كيف أفعل هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله ؟! (تك ٣٩ :٩)

***ايضاً الذى يؤمن بالله ورعايته وقوته العاملة ، لا يخاف فالخوف هو دليل على ضعف الإيمان ..**

لذلك فإن بطرس الرسول ، لما خاف من الأمواج ووقع فى الماء قال له الرب " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت " (مت ١٤ : ٣١) .
و جيحزى كان خائفاً من قوات العدو المحيطة بالمدينة . أما معلمنا أليشع النبى فكان يرى أجناد الرب التى تدافع عنها ، لذلك صلى من أجله قائلاً " افتح يا رب عينى الغلام فيرى .. " (٢مل ٦ : ١٧) . نعم ، بالإيمان يرى ، و ليس فقط بالعيان .. فيطمئن أن الذين معنا أكثر من الذين علينا .
هذا الإيمان الذى لا يخاف ، قال عنه داود النبى فى مزمور الراعى " إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى " (مز ٢٢ [٢٣]) . و قال فى مزمور آخر " تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع " (مز ١٦ : ٨) .

نعم، إن آمنت أن الرب معك فلن تخاف ٠

و إن آمنت أنه أمامك فى كل حين و أنه عن يمينك ، فلا تتزعزع ٠ بل تقول مع المرتل " إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى ٠ و إن قام على قتال ، ففى ذلك أنا مطمئن " (مز ٢٧ : ٣) ٠
إن كثيرين – لعدم إيمانهم – ليسوا فقط يخافون ، بل يصل بهم القلق و الإضطراب إلى حد اليأس ٠
*أما المؤمن فإنه يثق أن قوة الله معه ، ويثق بقول الكتاب :

" كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٣) ٠

حقاً إن هذه عبارة عجيبة و معزية ٠ أننا نؤمن أن الله هو الذى " يستطيع كل شئ و لا يعسرر عليه أمر " (أى ٤٢ : ١) ٠ أما إن كل شئ مستطاع للمؤمن ، فهذا أمر عميق و مذهل ، يعطينا فكرة عن قوة الإيمان و فاعليته ، و يذكرنا بقول القديس بولس الرسول :

" استطيع كل شئ ، فى المسيح الذى يقوينى " (فى ٤ : ١٣) ٠

إذن الإيمان هو قوة ٠ و هو يقوى الإنسان باستمرار ، فلا يخاف و لا يضطرب و لا يقلق و لا ييأس ٠ و مصدر قوته هو الله الذى يقويه ٠ لذلك يقول المرتل فى المزمور " قوتى و تسبحتى هو الرب ، و قد صار لى خلاصاً " (مز ١١٧ : ١٤) ٠

***و لهذا فإن الإيمان يصحبه السلام أيضاً : السلام الداخلى و السلام مع الله ٠**

و هكذا يقول الرسول " إذ قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله " (رو ٥ : ١) ٠ لنا سلام مع الله ، إذ نؤمن أن الرب قد حمل كل خطايانا على الصليب ، و أننا " متبررون الآن بدمه " " و قد صولحنا مع الله بموت ابنه " (رو ٥ : ٩ ، ١٠) ٠ لأن " الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم " (٢كو ٥ : ١٩) ٠

***و بهذا الإيمان و هذا السلام ، يكون لنا الفرح ٠**

لذلك فالمؤمنون دائماً فرحون ٠٠ فرحون لأنهم يؤمنون برعاية الرب لهم ، و لأنهم يؤمنون أن هذا الله الذى يرعاهم هو قادر على كل شئ ، و أنه أب حنون : فى احتياجهم يعطى ، و فى توبتهم يغفر ، و فى حمايتهم يقدر و يخلص ٠٠ حتى إن أصابتهم ضيقة ، و بدأ من الخارج أنهم فى كرب ، يقولون مع الرسول " كحزانى و نحن دائماً فرحون " (٢كو ٦ : ١٠) ٠ و هكذا يقول الرسول لهؤلاء المؤمنين " افرحوا فى الرب كل حين ، أقول أيضاً افرحوا " (فى ٤ : ٤)
ألا يبدو أن ثمار الروح مترابطة ، الفرح و السلام و الإيمان ٠٠

***إن الإيمان ضد الشك ٠ فالمؤمن لا يشك ٠**

و الشك يدل على ضعف الإيمان ٠ و الرب قد ربط بين الأمرين حينما قال للقديس بطرس " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟! " (مت ١٤ : ٣١) ٠
ما أكثر ما يقع البعض فى الشك ، لضعف إيمانهم !! قد يصلون ، و يخيل إليهم أن الله لم يستجب صلاتهم ، أو تباطأ فى الإستجابة ٠٠ فيشكون ٠ و قد يدركهم الشك فى محبة الله و فى رحمته ، إن وقعوا فى ضيقة ، أو فى مرض أو فى مشكلة أو مات أحد الذين يحبونه !
وقد يقع إنسان فى شك من جهة العقيدة ، إن قرأ كتاباً أو مقالاً ضد الإيمان ، و كان هو ضعيفاً فى إيمانه !

لذلك فالإيمان الحقيقى ، هو إيمان ثابت لا يتزعزع ٠

إيمان فى كل وقت ، و كل حين ، مهما كانت الظروف ، و مهما صادفة الضيقات أو المتاعب ٠٠ أنظروا ماذا يقول الرسول المختبر : " كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب " (١كو ١٥ : ٥٨) ٠ فلنتذكر هذه العبارة و نضعها أمامنا باستمرار : كونوا راسخين غير متزعزعين ٠٠

لا نؤمن فقط بالله ، إنما بعمل الله فينا و معنا ٠

نؤمن أن الله دايماً يعمل ٠ و أنه يعمل معنا كأفراد و جماعات ٠ يعمل الكنيسة و مع المجتمع و مع العالم كله ٠ و يعمل لخيرنا ٠ و فى ذلك نؤمن بيد الله فى الأحداث ٠ و أن " كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله " (رو ٨ : ٢٨) ٠ و هذا الإيمان يمنحنا سلاماً و اطمئناناً ٠

و مع ذلك ، فالإيمان على درجات ٠

ليست درجة الإيمان واحدة عند كل الناس ٠ و لا درجة الإيمان واحدة عند نفس الشخص فى كافة مراحل حياته فقد يقوى حيناً ، و يضعف فى حين آخر ٠ و ايمان المبتدئين غير إيمان الكاملين ٠ إن أبا الرجل المصروع من الشيطان ، لما سأله الرب عن ايمانه " (مر ٩ : ٢٤)

و هناك إيمان قوى يصنع المعجزات ٠ و ايمان كامل قال عنه الرسول " إن كان لك كل لإيمان حتى تنقل الجبال ٠٠ " (١كو ١٣ : ٢) ٠٠ على أن الإيمان كأية فضيلة يمكن أن ينمو و أن يقوى ٠٠ إن بطرس الرسول الذى ضعف إيمانه أمام جارية أثناء محاكمة المسيح (مت ٢٦ : ٧٠) ٠ عاد فقوى ايمانه بعد حلول الروح القدس ٠ و قال بكل شجاعة " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ٢٩)

لقد عرف الرسول الإيمان بأنه الثقة بما يرجى ، و الإيقان بأمور لا ترى " (عب ١١ : ١)

فنحن نؤمن بوجود الله ، و الله لا يرى و نؤمن أيضاً بوجود الأرواح و كلها كائنات لا ترى بعيوننا المجردة ٠ و هذا هو الفرق بين الإيمان و العيان ٠٠ كذلك نحن نؤمن بالنعم غير المنظورة التى ننالها من خلال أسرار الكنيسة المقدسة ، و كلها أمور لا ترى ٠ و مع ذلك نحن نوقن بذلك كل الإيقان ٠

على أن للإيمان علامات تظهره و تدل عليه ٠

فالمؤمن إنسان بعيد عن الكبرياء و التعالى ٠ الأن الذى بوجود الله ، لا يستطيع أن يسلك فى كبرياء أمام الله ، بل يدرك يقيناً أنه مجرد تراب ورماد (تك ١٨ : ٢٧) ٠

و من هنا كان خشوع المؤمن فى صلاته ٠

و كذلك ما فى الصلاة من ركوع و سجود ، و ما يسميه القديسون " الزى الحسن فى الصلاة " حيث يقف و كأنه أمام عمود من نار ٠ و هكذا نقول فى القداس الإلهى " قفوا بخوف أمام الله ، و انصتوا لسماع الإنجيل المقدس " " اسجدوا لله بخوف ورعدة " ٠٠

أما الذى يقف متخاذلاً متكاسلاً فى صلاته ، يلتفت أثناءها هنا و هناك ، أو يسرح فى أمور عديدة ، فهذا يدل على أنه غير مؤمن أنه واقف أمام الله ٠٠

كذلك هناك فرق بين صلاة بإيمان ، و صلاة بغير إيمان ٠

المؤمن يثق تماماً أن صلاته قد وصلت إلى الله ، و أن الله قد سمعها و أنه سوف يستجيب ٠ و يؤمن أن الله لابد سيعمل ٠ و هكذا نرى أن داود النبى تبدأ بعض مزاميره بالطلب ، بينما تنتهى بعبارات الأستجابة ٠ فنراه مثلاً يختم المزمور السادس بعبارات يقول فيها " ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم ٠ لأن الرب قد سمع صوتى بكائى ٠ الرب سمع تضرعى ٠ الرب لصلاتى قبل " (مز ٦) نقط أخرى نقولها فى علامات الإيمان ودلالاته :

أنت تؤمن أن الله هو الحق ن كما يقول " أنا هو الطريق و الحق و الحياة " (يو ١٤ : ٦) ٠ فهل تؤمن بالحق مادمت تؤمن بالله ؟

إن كنت تؤمن بالحق ، لأنك تؤمن بالله الذى هو الحق ، فهل تسلك فى الحق ، وهل تدافع عن الحق

إن السلوك فى الباطل هو لون من ضعف الإيمان بالله لأن البعد عن الحق هو البعد عن الله ٠ كذلك الذى يؤمن بأن الله هو النور (يو ٨ : ١٣) ٠ فهل تؤمن بالنور ، أم تسلك فى الظلمة ؟! كيف فى الظلمة بينما أنت تؤمن بالنور ؟! و الرب يقول " أنا هو نور العالم ٠ من يتبعنى ، فلا يسلك فى الظلمة " (يو ٨ : ١٣) ٠

كذلك إن كنت تؤمن بالأبدية ، فلابد أن تستعد لها ٠

و مادمت تستعد ، فلا يمكن أن تشتهى الأمور التى فى هذا العالم ، لأن محبة العالم عداوة لله " كما يقول الكتاب (يع ٤ : ٤) ٠ " أن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب " (١يو ٢ : ١٥) ٠ إذن فالذى يسلك فى محبة العالم و شهواته ، ليس هو مؤمناً بالحقيقة ٠ و إلا كان متناقضاً مع نفسه ٠

كذلك إن كنت تؤمن بأن جسدك هو هيكل الله ، فهل من المعقول أن تنجسه و تدنسه ؟!

يقول الرسول " أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم ٠ إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس ، الذى هو أنتم " (١كو ٣ : ١٦ ، ١٧) و يقول أيضاً " أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، و أنكم لستم لأنفسكم " (١كو ٦ : ١٩) ٠

إذن فالذى يفسد جسده لا يؤمن أن جسده هو هيكل الله ٠ و لا يؤمن أن الروح القدس ساكن فيه ٠ و بنفس المنطق من يفسد جسد مؤمنه هى أيضاً هيكل للروح القدس ٠

من هنا نرى أن كلمة الإيمان لها معنى كبير واسع ، يشمل الحياة كلها ٠ لهذا يقول الرسول : "

اختبروا أنفسكم هل أنت فى الإيمان ٠ امتحنوا أنفسكم " (٢كو ١٣ : ٥) ٠

و من الوسائل التى يختبر بها الإيمان الضيقة : فهناك أشخاص يضعف إيمانهم أو يضيع فى الضيقة ٠ بينما غيرهم يثبتون فى الإيمان على الرغم من الضيقات ٠ مثال ذلك القديسون الشهداء و المعترفون الذين تعرضوا لكل ألوان التعذيب و لكنهم ثبتوا فى إيمانهم ، ، و تعضوا للإيذاء و للتهديد و ظلوا ثابتين فى إيمانهم ٠ و كما يختبر الإيمان فى الضيقة ، كذلك يختبر بالشكوك ٠

و كما يختبر الإيمان فى الضيقة ، كذلك يختبر بالشكوك ٠

فالذين وضعوا أرجلهم فى البحر الأحمر و عبروا ، ما كان عندهم شك ، بينما المياه و الأمواج كانت تحيطهم من الجانبين (خر ١٤) ٠

الإيمان القوى ينتصر على كل الشكوك التى تحاربه ٠ و هكذا فإن الكنيسة القوية اجتازت فترات الهرطقات الشديدة خلال القرنين الرابع و الخامس للميلاد ٠ فحرمت الهرطقات و خرجت منها بإيمان سليم ٠

نرجو من الرب أن يثبتنا فى الإيمان الذى ينبع من أرواح قوية ، تنتصر فى كل حروب الإيمان ٠

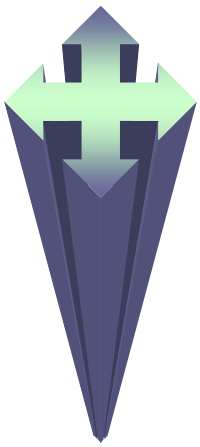

من ثمر الروح
(8)
الوداعة

تطويب الوداعة

*ما أجمل الوداعة ٠ إنها من ثمار الروح (غل ٥ : ٢٣) ٠ و قد جعلها الرب فى مقدمة التطويبات ، فقال : **" طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض " (مت ٥ : ٥)**

و قد فسر بعض الآباء عبارة " يرثون الأرض " هنا ، بأن المقصود بها أرض الأحياء ، كما ورد فى المزمور " و أنا أؤمن أن أعاين خيرات الرب فى أرض الأحياء " (مز ٢٧ : ١٣) ٠٠ كما أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك أرضنا الحالية ٠ لأن الشخص الوديع يكون غالباً محبوباً من الجميع على هذه الأرض أيضاً ٠ فيكسب الأرض هنا ، و أرض الأحياء هناك ٠

*و من أهمية الوداعة ، أن الرب دعانا أن نتعامها منه ، فقال :

"تعلموا منى ، لأنى وديع و متواضع القلب " (مت ١١ : ٢٩) ٠

كان يمكن أن يدعونا لأن نتعلم منه الكرازة و التعليم و الخدمة ، و الحب ، و الرحمة ، و الحكمة فى التصرف ٠٠ بل كل فضيلة كمال ،إذ تتثمل فيه كل الكمالات و الفضائل ٠ و لكنه ركز على الوداعة و التواضع ، وقال لمن يتعلمونها " فتجدون راحة لنفوسكم " ٠ ألا يدل هذا على أهمية خاصة للوداعة فى حياة الناس ؟٠٠

و من أهمية الوداعة ، أن الكنيسة تضعها أمامنا فى بدء صلوات النهار ٠

فتضع أمامنا فى بدء صلوات باكر ، فى مقدمتها قبل المزامير ، جزءاً من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس ، يقول فيها " أطلب إليكم أنا الأسير فى الرب ، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم إليها : بكل تواضع القلب و الوداعة و طول الأناة محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة ٠٠ " (أف ٤ : ١ ، ٢) ٠ إذن هى فى مقدمة السلوك الروحى المسيحى ٠ و من النصين السابقين نرى ارتباط الوداعة بالتواضع ٠

***وقد اهتم الآباء الرسل بالحديث عن الوداعة فى المعاملات :**

فقال القديس بولس الرسول " أيها الأخوة ، إن انسيق إنسان فأخذ فى زله ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً ٠٠ " (غل ٦ : ١) و قال القديس يعقوب الرسول " من هو حكيم و عالم بينكم ، فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة ٠٠ " (يع ٣ : ١٣) ٠ و شرح كيف أن هذه الوداعة الحكيمة تكون بعيدة عن التحريف و التشويش ، و عن الغيرة المرة و كل أمر ردئ ٠

و القديس بطرس الرسول عندما تحدث عن الزينة ، ذكر " زينة الروح الوديع الذى هو قدام الله كثير الثمن " (١بط ٣ : ٤) ٠

و قال القديس بطرس أيضا " مستعدين فى كل حين ، لإجابة كل من يسألكم عن سر الرجاء الذى فيكم ، بوداعة و خوف " (١بط ٣ : ١٥)

***و قد كانت الوداعة هى سمة المسيحيين منذ البدء ٠**

حتى أنه كما قيل عن تاريخ الكنيسة فى العصر الرسولى فى القرن الأول : إنه حينما كان أحد الوثنيين يقابل زميلاً له ، و يجده وديعاً بشوشاً هادئاً ، يقول له " لعلك قابلت مسيحياً فى الطريق " ٠ و يقصد بذلك إن لقاءه مع أحد المسيحيين فى وداعته ، كان بالتأثير يطبع الوداعة على وجهه ٠

***و لعل من أهمية الوداعة ، مدح الكتاب للودعاء :**

حيث يقال فى المزامير " يسمع الودعاء فيفرحون " (مز ٣٤ : ٢) ٠ و أيضاً " أما الودعاء فيرثون الأرض ، و يتلذذون فى كثرة السلامة " (مز ٣٧ : ١١) ٠و قد قيل كذلك " الرب يرفع الودعاء ، و يذل الخطاة إلى الأرض " (مز ١٤٧ : ٦) " يدرب الودعاء فى الحق ، و يعلم الودعاء طرقه "

(مز٢٥ : ٩) ٠ إن عرفنا كل هذا المديح للوداعة و الودعاء ، فليتنا نتأمل معاً : ما هى الوداعة ؟ ؟ و ما هى صفات الشخص الوديع :

الإنسان الوديع هو الإنسان الطيب المسالم ٠

و كثير من الناس يستخدمون صفة (الطيب) بدلاً من صفة (الوديع) ٠ و هو بهذا يكون إنساناً هادئاً بعيداً عن العنف ٠

هو إنسان هادئ فى كل شئ

الوديع هادئ فى طبعه ، هادئ الأعصاب ، هادئ الألفاظ ، هادئ الملامح ، ، هادئ الحركات ٠ الهدوء يشمله كله داخلياً و خارجياً ٠ فهو هادئ فى قلبه و مشاعره ، و هو هادئ فى تعامله مع الآخرين ٠٠ هو إنسان حليم ٠ كما قيل عن موسى النبى " و كان الرجل موسى حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) ٠

وهدوء الوديع يكون فى صوته أيضاً

فهو يبعد عن الصوت العالى ، و عن الصوت الحاد ٠ لا يكون شديد الألفاظ و لا شديد اللهجة ٠ و قد قيل عن إلهنا الوديع ، حينما قابل إيليا النبى ، أثناء هرب إيليا من الملكة الظالمة إيزابل : هبت عاصفة شديدة ، و لم يكن الرب فى العاصفة ٠ ثم زلزلة ، و لم يكن الرب فى الزلزلة ٠ ثم نار ، و لم يكن الرب فى النار ٠ ثم إذا " صوت منخفض خفيف " (١مل ١٩ : ١١- ١٣) ، و كان الرب يتكلم ٠ فقال له " مالك ههنا يا إيليا ؟" هذا الصوت المنخفض الخفيف هو بعض ما يتصف به الوديع *و لذلك قيل عن السيد المسيح فى وداعته :

" لا يختصم و لا يصيح ٠ و لا يسمع أحد فى الشوارع صوته ٠ قصبة مرضوضة لا يقصف ، و فتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) ٠

هكذا يكون الوديع ، بعيداً عن الصخب و الضوضاء ٠ لا يصيح و لا يسمع أحد فى الشوارع صوته ٠٠ حينما يتكلم يتصف كلامه بالهدوء و اللطف ، كأنما قد اختار كل ألفاظه ، بكل دماثةو أدب ٠ لا يجرح بها شعور أحد ، مهما كانت صفته ٠ حتى إن كان أمم " فتيلة مدخنة " لا يطفئها ٠٠ ربما تمر عليها ريح فتشعلها ٠٠

يعمل كل ذلك : لا عن ضعف ، و إنما عن لطف ٠

يذكرنى هذا بقصيدة : أنشدتها فى الأرشيدياكون حبيب جرجس ، فى يوم الأربعين لوفاته سنة ١٩٥١ قلت فيها :

يا قويا ليس فى طبعه عنف .:. ووديعاً ليس فى ذاته ضعف
يا حكيماً أدب الناس و فى .:. زجره حب ، و فى صوته عطف
لك أسلوب نزية طاهر .:. و لسان أبيض الألفاظ عف
لم تنل بالذم مخلوقاً و لم .:. تذكر السوء إذا ما حل وصف
إنما بالحب و التشجيع قد .:. تصلح الأعوج ، و الأكدر يصفو

* * *

الإنسان الوديع بعيد عن العنف و عن الغضب ٠

هو إنسان هادئ ، لا يثور و لا يثار ٠ لا يغضب بسرعة و لا ببطء ٠ و لا ينفعل الانفعالات الشديدة ، و لا تغلبه النرفزة (العصبية) ، لأنه باستمرار هادئ ، فى أعصابه و فى ملامحه ، التى تتصف بالطيبة و البشاشة ٠ إنه لا ينتقم لنفسه ٠ و لا يحل مشاكله بالعنف ٠ بل إن أساء أحد إليه ، يقابل ذلك بالإحتمال و الصبر ٠

انظروا كيف قيل عن السيد المسيح أثناء محاكمته و قيادته للصلب : كشاة تساق إلى الذبح ، و كنعجة صامتة أمام جازيها ٠ فلم يفتح فاه " (أش ٥٣ : ٧) ٠ و كما قال بولس الرسول عن نفسه و عن زملائه فى الخدمة : نشتم فنبارك ٠ نضطهد فنحتمل ٠ يفترى علينا فنعظ " (١كو ٤ : ١٢ ، ١٣) ٠

الإنسان الوديع لا يقيم نفسه رقيباً على الناس ٠

لا يقيم نفسه قاضياً ، و لا يتدخل فى أعمال غيره ٠ لا يعطى نفسه سلطة مراقبة الآخرين و الحكم على أعمالهم ٠ لا يدين أحداً ، و لا يحكم على أحد ٠ و إن أضطرته الضرورة إلى الحكم ، لا يقسو فى أحكامه ٠

و قد يغلبه الحياء ، فلا يرفع بصره ليملأ عينيه من وجه إنسان ٠

لا يفحص ملامح شخص ، ليحكم منها على مشاعره ماذا تكون ٠٠ أو ما مدى صدقه فى كلامه ٠ إن حورب بذلك يقول لنفسه " و أنا مالى ٠ خلينى فى حالى " ٠ هو بطبيعته الوديعة لا يميل إلى فحص أعمال الناس ٠

و إن تدخل فى الإصلاح بهدوء ووداعة ورقة ٠

حسبما قال الرسول " ٠٠اصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا " (غل ٦ : ١) ٠

***و هكذا فعل السيد المسيح فى وداعته مع المرأة السامرية (يو ٤)**

لم يجرح شعورها بكلمة واحدة ، و لم يبكتها ٠ بل اجتذبها إلى الإعتراف فى وداعة و لطف ٠ ووجد فيها شيئاً يمتدحه " حسناً قلت إنه ليس لك زوج ٠٠ هذا قلت بالصدق " (يو ٤ :١٧ : ١٨) و بهذه الوداعة أمكنه أن يجتذبها إلى التوبة ، و إلى الإيمان أنه المسيح ، و تبشير أهل مدينتها بذلك " (يو ٤ : ٢٩) ٠ و فى وداعة أيضاً تصرف مع المرأة الخاطئة المضبوطه فى ذات الفعل لم يبكتها ٠ بل أنقذها من الذين أرادوا رجمها ٠ فلما أنصرفوا قال لها " " أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ ٠٠ و لا أنا أدينك ٠ اذهبى و لا تخطئى أيضاً " (يو ٨ : ١٠ ، ١١) ٠

***و بنفس الوداعة عاتب بعد القيامة تلميذه بطرس ٠**

ذلك الذى أنكره ثلاث مرات ، و حلف و لعن و قال لا أعرف الرجل (مت ٢٦ : ٧٤) ٠٠ فقال له الرب ثلاث مرات : أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ ٠٠ و معها ثلاث مرات ثبته فى عمل الرعاية ، يقوله له : ارع غنمى ٠٠ إرع خرافى " (يو ٢١ : ١٥ -١٧)

وبنفس الوداعة ، قابل نيقوديموس ليلاً٠

و لم يوبخه على " خوفه من اليهود " ٠٠ بل أتاه ليلاً حتى لا ينكشف أمره لهم ٠٠ و بهذه الوداعة التى تنازل بها إلى ضعفه ٠٠ اقتاده فيما بعد إلى أن يجاهر بالإشتراك ف تكفين المسيح بعد صلبه ٠

* * *

الإنسان الوديع سهل التعامل مع الناس ٠ يستطيع كل شخص أن تأخذ معه و يعطى ٠

إنه سهل فى نقاشه و حواره ٠ لا يحتد و لا يشتد ٠ و لا يستاء من عبارة معينة يقولها محاوره ٠ فيشعر المتناقش معه براحة مهما كان معارضاً له ٠ يعرف أنه سوف لا يغضب عليه ، و سوف لا يحاسبه على ما يقول ٠ و لعل أفضل الأمثلة على ذلك :

حوار الرب - فى وداعته - مع إبراهيم ، و مع موسى :

*من فرط وداعته استطاع أبونا إبراهيم أن يناقشه فى موضوع حرق سادوم ، ويقول لـــه " أديـــان الأرض كلها لا يصنع عدلاً ؟ أتهلك البار مع الأثيم ؟ عسى أن يكون فى المدينة خمســون بـــاراً ٠٠ حاشاً لك أن تفعل مثل هذا الأمر : أن تميت البار مع الأثيم ، فيكون البار كالأثيم حاشا لك " (تـــك ١٨ : ٢٣ ـ ٢٥) ٠ و يصبر الرب على هذه العبارات ، و لا يعاتبه ٠ بل يقول له فى وداعته " إن وجدت فى سادوم خمسين باراً ، فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم ظ ٠ و يســتمر معــه فــى الحوار حتى يصل العدد إلى عشرة

*و بنفس الوداعة ، لما عبد الشعب العجل الذهبى و أراد الله أن يفنيهم ، سمح لموسى أن يقول له : أرجع يا رب عن حمو غضبك ، و اندم على الشر بشعبك ٠٠ لماذا يقولون أخرجهم بخبث (مــن أرض مصر) ليفنيهم فى الجبال و يهلكهم ؟ " (خر ٣٢ : ١١ ، ١٢) ٠

سمح الله لموسى أن يتكلم هكذا ٠ و فى وداعة استجاب لطلبته و لم يفنهم

من منا يحتمل من أحد خدامه أن يقول له : ارجع عن حمو غضبك و اندم على الشر ؟ و لكنـــه الله الوديع ٠٠

الإنسان الوديع حليم ، واسع الصدر ، طويل البال ٠

كما وصف بذلك موسى النبى (عد ١٢ : ٣) ٠ حتى أنه حينما تقولت عليه أخته مريم ووبخها الله و عاتبها ، تشبع فيها موسى و هو فى موقف المساء إليه منها " و صرخ إلى الرب قـــائلاً " اللهـــم اشفها " (عد ١٢ : ١٣) و من الأمثلة الجميلة أيضاً أن ما قيل عن سليمان الحكيم أن الرب منحه رحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر (١مل ٤ : ٢٩) ٠

* * *

و الوديع إنسان بشوش ، لا يعبس فى وجه أحد ٠

له ابتسامه حلوة محببة إلى الناس ، و ملامح سمحة مريحة لكل من يتأملها ٠ لا تسمح له طبيعتـــه الهادئة أن يزجر أو يوبخ أو يحتد و يشتد ٠ أو أن يغير صوته فى زجر إنسان ٠

و مهما عومل ، لا ينتذمر و لا ينتضجر و لا يشكو ٠

بل غالباً ما يتلمس العذر لغيره ، يبرر فى ذهن مسلكه ، و لا يظن فيه سوءاً ، و كأن شيئاً لم يحدث ٠ فلا يتحدث عن إساءة الناس إليه ٠ و لا يحزن بسبب ذلك فى قلبه ٠ فإن تأثر لذلك أو غضـــب ، سرعان ما يزول ذلك ، و لا يتحول حزنه أو غضبه إلى حقد ٠٠ بل سرعان ما يصفو ٠٠

الوديع يتميز بأنه بطئ الغضب ٠

كما قال معلمنا الرسول " ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الإستماع ، مبطئاً فى التكلم ، مبطئاً فى الغضب ٠ لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله " (يع ١ : ١٩) ٠ و ما أكثر ما قيل عن إلهنا الوديـــع إنـــه بطئ الغضب " (يون ٤ :٢) ، و إنه " طويل الروح ، وكثير الرحمة ، (مز ١٠٣ : ٨) ٠

كذلك فإن الوديع ، لا يغضب لأى سبب ٠

إذا غضب الوديع ، فاعرف أنه لابد من أمر خطير دعاه إلى ذلك ٠ و غالباً ما يكون غضـــبه لأجـــل الرب ، ليس لأجل نفسه ، أو بسبب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير الودعاء ٠ و إذا انفعل لا يشتغل

و الوديع إنسان مسالم ، لا ينتقم لنفسه ٠

لا يقاوم الشر ، كما أمر الرب (مت ٥ : ٣٩) ٠ أى لا يقابل الشر بمثلـــه ٠ و إنمـــا هـــو كثيـــر الإحتمال ٠ لا يدافع عن نفسه ، بل غالباً ما يدافع عنه غيره موبخين من يسئ إليه بقـــولهم " ألـــم تجد سوى هذا الإنسان الطيب لتسئ إليه ؟!

الإنسان الوديع لا يؤذى أحداً ، و يحتمل الأذى من المخطئين ٠

و له سلام فى داخله ، فلا ينزعج و لا يضطرب ٠

كل المشاكل الخارجية لا تعكر صفوه الداخلى ، قال ماراسحق : " سهل عليك أن تحرك جبلاً من موضعه ٠ و ليس سهلاً عليك أ، تثير إنساناً وديعاً " ٠

و هو لا يصطنع الهدوء ٠ إنما كما خارجه ، هكذا داخله أيضاً ٠ إنه كصخرة أو جندل فى نهر ٠ مهما صدمت الأمواج تلك الصخرة ، تبقى كما هى لا تتزعزع ٠

كثيراً ما نرى الودعاء يصبرون و لا يدافعون عن حقوقهم ٠

و من أمثله ذلك داود النبى ، الذى قيل عنه فى المزمور " اذكر يا رب داود و كل دعته " (مز ١٣٢ : ١) ٠٠ لقد مسحه صموئيل النبى ملكاً (١صم ١٦ : ١٣) ٠ ثم ذهب إلى الرامة ، و لم يسلمه من الملك شيئاً ! و بقى داود ملكاً بلا مملكة ، و عاد يرعى الغنيمات القليلات فى البرية٠ثم اختير ليخدم الملك شاول الذى كان عليه روح نجس : يعزف له على العود لكى يهدأ ٠٠ ثم حسده شاول و اضطهده اضطهاداً شديداً ٠ و كان يطارده من برية إلى أخرى لكى يقتله ٠ كل ذلك وداود الوديع صابر و يحتمل ٠ و لم يطالب خلال ذلك بحقوقه كملك ممسوح ٠ و لم يتذمر ٠ و لم يقل يوماً لصموئيل النبى : أين تلك المسحة التى مسحتنى بها؟ و أين الملك الذى أعطيتنى إياه ٠٠ و بقى على هذه الحال حوالى ١٥ سنة ، حتى مات شاول ٠

الوديع بعيد عن المجادلة و المحارنة ٠

كما قال الكتاب " افعلوا كل شئ بلا دمدمة و لا مجادلة (فى ٢ : ١٤) ٠ يقصد بالمجادلة هنا : (المقاوحة فى الكلام) أو المحارنة ٠٠ ذلك لأن الوديع لا يجاهد لكى يقيم كلمته ، و لكن ينتصر فى المناقشات ٠ إنما يبدى رأيه و يثبته ، و ليقبله من يشاء متى يشاء ، دون أن يدخل فى صراع جدلى أو فى حرب كلامية ٠ فهذا ضد هدوئه ٠

الوديع لا يوجد فى تفكير خبث و لا دهاء و لا تعقيد ٠

لا يقول شيئاً ، و فى نيته شئ آخر ٠ بل الذى فى قلبه ، على لسانه ٠ و ما يقوله لسانه ، إنما يعبر عن حقيقة ما فى قلبه ٠ ليس عنده التواء ٠ و لا يدبر خططاً فى الخفاء ٠ هو إنسان واضح ، يتميز بالصراحة ٠ يمكن لمن يتعامل معه أن يطمئن إليه ٠ إنه بسيط لا حويط ، و لا غويط ٠٠

إنه يمر على الحياة ، كما يمر النسيم الهادئ على السطح الماء ٠

لا يحدث فى الأرض عاصفة و لا زوبعة ، و لا يحدث فى البحر أمواجاً و لا دوامات ٠ و لا يحب أن يحيا فى جو فيه زوابع ودومات ٠ إن كل ذلك لا يتفق مع طبعه ، و لا مع هدوئه ، و لا مع لطفة ٠ ولا مع أسلوبه فى الحياة ٠ لذلك فإن كل من يعاشره ، يلتذ بعشرته ٠ فهو طيب هادئ لا تصطدم بأحد ، و لا يزاحم غيره فى طريق الحياة ٠ و إن صادف مشاكل ، فإنه يمررها ، و لا يدعها تمرره

* * *

هناك نوعان من الودعاء ٠ أحدهما ولد هكذا ٠ و الثانى اكتسب الوداعة بجهاد و تدرايب ، وبعمل النعمة فيه ٠

من النوع الأول ، القديس بولس البسيط ٠ و من النوع الثانى : القديس موسى الأسود ، الذى كان فى بدء حياته قاسياً و عنيفاً ، بل قاتلاً أيضاً ٠ و عندما أتى إلى الدير للتوبة ، حافه الرهبان أولاً ٠ و لكنه بدأ يدرب نفسه ، حتى تحول إلى إنسان وديع طيب ، محب للأخوة ، خدوماً و مضيافاً ٠ و صار مرشداً لكثيرين ٠

* * *

على أنه فى حديثنا عن الوداعة ، لا يفوتنا أن ننسى ما يعطلها ٠

أحياناً تقف ضدها الرئاسة و السلطة ٠ فما أن يصير البعض رئيساً ، و يمارس الأمر و النهى ، و التحقيق و المعاقبة ، و مراقبة الآخرين و تصريف أمورهم ٠ حتى يفقد و داعته ، و يرى فى الحزم و العزم و الحسم ، ما يبرر له العنف أحياناً ، و بايفقده وداعته و بساطته ٠

و لكن مغبوط هو الذى يحتفظ بالوداعة فيما يمارس عمل السلطة ٠

كذلك من يكون عمله هو حفظ النظام ٠ و قدم يجد نفسه فى بعض الأوقات أمام جماعة من المشاغبين ، أو من الذين تمنعهم كبرياؤهم من الخضوع لآى نظام ٠ كيف يسلك مع هؤلاء ؟ ٠٠ طبعاً هناك من يحفظ النظام فى ورقة و لطف ٠ و هناك من يستخدم العنف فى حفظه ٠٠

هل تتنافى الوداعة مع الشجاعة و الشهامة ؟!

الوداعة هى الطيبة و اللطف و الهدوء ، كما سبق و قلنا ٠٠

و لكن المشكلة هى أن البعض قد يفهم الوداعة فهماً خاطئاً ٠ و كأن الوديع يبقى بلا شخصية و لا فاعلية ، و كأنه جثة هامدة لا تتحرك !! بل قد يصبح مثل هذا الوديع هزأة يلهو بها الناس !!

و يتحول هذا (الوديع) إلى إنسان خامل ، لا يتدخل فى شئ ! كلا ، فهذا فهم خاطئ لوداعة ، لا يتفق مع تعليم الكتاب ، و لا مع سير الآباء و الأنبياء ٠٠ حقاً إن الإنسان الوديع هو شخص طيب و هادئ ٠ و لكن هذه هى أنصاف الحقائق ٠

النصف الآخر من الحقيقة أن الوداعة لا تتعارض مع الشهامة و الشجاعة و النخوة ، و إنما لكل شئ تحت السموات وقت (جا ٣ : ١) ٠

نعم ، وللتكلم وقت ٠٠ " ٠ و المهم أن يعرف الوديع كيف يتصرف ، متى ؟ ٠٠ و لقد سئل القديس الأنبا أنطونيوس عن أهم الفضائل : هل هى الصلاة ، الصوم ، الصمت ٠٠ إلخ فأجاب عن أهم فضيلة هى الإفرار ، أى الحكمة فى التصرف ، تمييز ما ينبغى أن يفعل ٠

فالطيبة هى الطبع السائد عند الوديع ٠ و لكن عندما يدعوه الموقف إلى الشهامة أو الشجاعة أو الشهادة للحق ، فلا يجوز له أن يمتنع عن ذلك بحجة التمسك بالوداعة ٠٠

لأنه لو فعل ذلك ، و امتنع عن التحرك نحو الموقف الشجاع ، لا تكون وداعته حقيقية ، إنما تصير رخاوة فى الطبع ، و عدم فهم للوداعة ، و عدم فهم للروحانية و بصفة عامة ٠فالروحانية ليست تمسكاً بفضيلة واحدة تلغى معها باقى الفضائل ٠ إنما الروحانية هى كل الفضائل معاً ، متجانسة و متعاونة فى جو من التكامل ٠٠و أمامنا مثلنا الأعلى السيد المسيح له المجد :

كان وديعاً و متواضع القلب (مت ١١ : ٢٩) " قصبة مرضوضة لا يقصف ، و فتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت ١٢ : ٢٠) ٠٠ و مع ذلك

فإنه لما رأى اليهود قد دنسوا الهيكل ، و هم يبيعون فيه و يشترون ، " أخرج جميع الذين كانوا يبيعون و يشترون فى الهيكل ، و قلب موائد الصيارفة كراسى باعة الحمام ٠ و قال لهم : مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، و أنت جعلتموه مغارة لصوص " (مت ٢١ : ١٢ ، ١٣) (يو ٢ : ١٤ - ١٦) ٠أكان ممكنا للسيد المسيح - باسم الوداعة - أن يتركهم يجعلون بيت الآب بيت تجارة ؟! أم أنه مزج الوداعة بالغيرة المقدسة ، كما فعل " فتذكر تلاميذ أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتنى " (يو ٢ : ١٦ ، ١٧) ٠

و كما قام المسيح الوديع بتطهير الهيكل ، هكذا وبخ الكتبة و الفريسيين ٠

حقاً ، لكل أمر تحت السموات وقت ٠ الهدوء وقت ، و للغيرة وقت ، للسكوت وقت ، و للتعليم وقت ٠ وقد كان الكتبة والفريسيون يضلون الناس بتعليمهم الخاطئ ٠ فكان على المعلم الأعظم أن يكشفهم للناس ، لا يبقيهم جالسين على كرسى موسى فى المجتمع المسيحى الجديد ٠ فقال لهم " و يل لكم أيضا الكتبة و الفريسيون المراؤون ٠ لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ٠ فلا تدخلون أنتم ، و لا تدعون الداخلين يدخلون " (مت ٢٣ : ١٣) ٠ هل كان ممكناً باسم الوداعة أن يتركهم يغلقون أبواب الملكوت ؟!

الوداعة فضيلة عظيمة ، و لكننا نراها هنا ترتبط بالغيرة المقدسة ، و ترتبط بالشهادة للحق ،

و مثالنا هو المسيح نفسه ٠

و الشهادة للحق أمر هام يريده الله ٠ و لعل أهميته تظهر من أقول الله على لسان أرميا النبى فى العهد القديم " طوفوا فى شوارع أورشليم ، و أنظروا و أعرفوا و فتشوا فى ساحاتها : هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق ، فاصفح عنها " (أر ٥ :١) ٠ قال الرب لتلاميذ " ٠٠ تكونون لى شهوداً " (أع ١ : ٨) ٠

فهل الوداعة تمنع الشهادة للحق ؟! حاشا ٠ أمامنا بولس الرسول كمثال :

نرى ذلك فى موقفه من القديس بطرس لما سلك فى الأكل مع الأمم مسلكاً رآه بولس الرسول مسلكاً ريائياً ٠٠ فقال القديس بولس فى ذلك " قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً ٠٠ و قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت و أنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا ؟! " (غل ٢ : ١١ ، ١٤) ٠ فعل هذا بولس الوديع ، الذى فى توبيخه لأهل كورنثوس ، قال لهم " اطلب إليكم - بوداعة المسيح و حلمه - أنا نفسى بولس ، الذى هو فى الحضرة ذليل بينكم ، و أما فى الغيبة فمتجاسر عليكم " (٢كو ١٠ : ١) ٠٠ هذا الوديع الذى يقف أمام أبنائه الروحيين كذليل فى حضرتهم ، معتبراً توبيخه لهم تجاسراً عليهم!! ٠٠ هذا نفسه يرى وقت الضرورة أن يوبخ بطرس الرسول الذى هو أقدم منه فى الرسولية و أكبر منه سناً ٠و لكنه هنا يمزج الوداعة بالشهادة للحق ففضيلة الوداعة لا يجوز لها أن تعطل الفضائل الأخرى ٠

أمامنا مثل آخر هو ابرام (إبراهيم) أبو الآباء ، فى مزج الوداعة بالشهامة و النخوة ٠

لاشك أن أباء الآباء إبراهيم كان وديعاً ٠ هذا الذى سجد لبنى حث حينما أخذ منهم أرضاً ليدفن فيها سارة مع أنهم كانوا يبجلونه قائلين " أنت يا سيدى ، رئيس من الله بيننا ٠فى افضل قبورنا ادفن ميتك " (تك ٢٣ : ٦ ، ٧) ٠ مع ذلك سجد لهم ٠٠

ابراهيم الوديع الذى لما أخبروه بسبى لوط ضمن سبى سادوم فى حرب أربعة ملوك ضد خمسة ، يقول الكتاب " فلما سمع ابرام أن أخاه (لوطا) قد سبى ، جر غلمانه المتمرنين ، و لدان بيته ثلاثمائة و ثمانية عشر ، و تبعهم إلى دان ٠٠ و كسرهم و تبعهم إلى حوبة ٠٠ و استرجع كل الأملاك ، و استراجع لوطاً أخاه أيضاً و أملاكه و النساء أيضاً و الشعب " (تك ١٤ : ١٤ -١٦)٠ أكانت شهامة إبراهيم و نخوته، ضد وداعته و طيبته ؟! حاشا ٠

أمامنا مثل آخر فى امتزاج الوداعة بالشجاعة و القوة ، و هو الصبى داود ، فى محاربته لجليات الجبار ٠

لاشك أن داود كان وديعاً، يقول عنه المزمور " اذكر يا رب داود و كل دعته " (مز ١٣٢ : ١) ٠٠ داود راعى الغنم الهادئ صاحب المزمار ، الذى يحسن الضرب على العود (١صم ١٦ : ١٦ ، ٢٢) ٠ داود الحسن المنظر، الأشقر مع حلاوة العينين (١صم ١٦ : ١٢) ٠ داود هذا لما ذهب إلى ميدان الحرب يفتقد سلامة أخوته ، و سمع جليات الجبار يعير الجيش كله و يتجداه ٠ و الكل ساكت و خائف ٠٠ تملكنه الغيرة المقدسة ٠ و بكل شجاعة و قوة و إيمان ، قال " لا يسقط قلب أحد بسببه " (١صم ١٧ : ٣٢) ٠ و تطوع أن يذهب ليحاربه و تقدم نحوه ، و قال له " اليوم يحبسك الرب فى يدى ٠٠ " (١صم ١٧ : ٤٦) ٠ هنا الوداعة ممتزجة و الشجاعة و الإيمان ٠٠
و على الرغم من قوة داود و شجاعته ، لم تفارقه وداعته ، بل قال لشاول الملك فيما بعد لما طاردة " وراء من خرج ملك إسرائيل ؟ وراء من أنت مطارد ؟ وراء كلب ميت ! وراء برغوث واحد !! (١صم ٢٤ : ١٤)

نضرب مثلاً آخر للإنسان الوديع ، الذى يغضب غضبة مقدسة للرب ، و ينتهر ويوبخ ٠٠ هو موسى النبى ٠

لا يستطيع أحد ينكر وداعة موسى النبى ، هذا الذى قال عنه الكتاب " و كان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) ٠
فماذا فعل موسى الوديع لما نزل من الجبل ووجد الشعب فى رقص وغناء حول العجل الذهبى الذى صنعوه و عبدوه ؟ يقول الكتاب " فحمى غضب موسى ٠ و طرح اللوحين (لوحى الشريعة)من يديه و كسرهما فى أسفل الجبل ٠ ثم أخذ العجل الذى صنعوه و أحرقه بالنار ، و طحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء ٠٠ " (خر ٣٢ : ١٩ ، ٢٠) ٠ ووبخ موسى هارون أخاه رئيس الكهنة ، حتى ارتبك أمامه هارون و خاف ٠ و قال له " لا يحم غضب سيدى ٠ أنت تعرف الشعب أنه شر ٠٠ " و قال فى خوفه و ارتباكه عن الذهب الذى جمعه من الناس " طرحته فى النار ، فخرج هذا العجل !! " (خر ٣٢ : ٢٢ ، ٢٤) ٠ و عاقب موسى الشعب ٠ و مات فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف ٠٠ إذن الوداعة لا تمنع الغضب المقدس و لا المعاقبة ٠٠

الوداعة أيضاً لا تمنع قوة الشخصية ، و لا قوة التأثير ٠

كان السيد المسيح وديعاً ٠ و فى نفس الوقت كان قوى الشخصية ، و كان قوياً فى تأثيره على غيره ٠ و لكننى اريد هنا أن أضرب مثلاً فى مستوى البشر ، و هو القديس بولس الرسول ٠ بولس الذى سرحنا من قبل وداعته ٠٠ يقول سفر أعمال الرسل عن القديس بولس ، و هو أسير : " و بينما كان يتكلم عن البر والتعفف و الدينونة العتيدة أن تكون ، ارتعب فيلكس (الوالى) ٠و أجاب " أما الآن فاذهب و متى حصلت على وقت استدعيك " (أع ٢٤ : ٢٤ ، ٢٥) ٠
و لما وقف بولس الرسول - و هو أسير أيضاً - أمام أغر يباس الملك ، قال له أيضاً بعد أن ترافع أمامه "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء ؟ أنا أعلم أنك تؤمن " ٠ فقال أغريباس لبولس " بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً " (أع ٢٦ : ٢٧ ، ٢٨) ٠
وحينئذ فى قوة و عزه أجابه القديس بولس : كنت أصلى إلى الله ، أنه بقليل و بكثير - ليس أنت فقط - بل ايضاً جميع الذين يسمعونى اليوم ، يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود " (أع ٢٦ : ٢٩) ٠٠ أترى تتعارض الوداعة مع هذه القوة ؟! كلا ، بلا شك ٠

ووقت الضرورة ، لا تتنافى الوداعة مع الدفاع عن الحق ..

و يتضح هذا الأمر من قصة بولس الرسول مع الأمير كلوديوس ليسياس ، لما أمر أن يفحصوه بضربات ليعلم لأى سبب كان اليهود و يصرخون عليه . يقول الكتاب " فلما مدوه للسياط ، قال بولس لقائد المئة الواقف " أيجوز لكم أن تجلدوا رجلاً رومانياً غير مقضى عليه ؟! وإذ سمع القائد هذا أخبر الأمير ، الذى جاء و استخبر من بولس عن الأمر و حينئذ تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يجلدوه . و اختشى الأمير لما علم أنه رومانى (أع ٢٢ :٢٤ -٢٩) .

ما كان القديس بولس الرسول يهرب من الجلد . فهو الذى قال : " من اليهود خمس مرات قبلت اربعين جلدة إلا واحدة " (٢كو ١١ : ٢٤) . و لكنه هنا دافع عن حق معين ، و أظهر للأمير خطأ كان مزمعاً أن يقع فيه . و ما كان هذا يتنافى مع وداعة القديس بولس . و بنفس الوضع لما أراد فستوس الوالى أن يسلمه لليهود ليحاكم أمامهم ، و بهذا يقدم منه (اى جميلاً) لهم فقال له بولس فى حزام - مدافعاً عن حقه - " أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر ، حيث ينبغى أن أحاكم . إلى قيصر أنا رافع دعواى " . فأجابه الوالى " إلى قيصر رفعت دعوال . إلى قيصر تذهب " (أع ٢٥ : ٩ - ١٢) لم يكن القديس بولس خائفاً من اليهود . و لكنه - فى حكمة - طلب هذا ليذهب إلى رومه - حيث يوجد قيصر - و يبشر هناك . لأن الرب كان قد تراءى له قبل ذلك ، و قال له " ثق يا بولس ، لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم ، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً ، (أع ٢٣ :١١) . و هكذا دافع عن حقه فى وداعة و حكمة ، و دون أن يخطئ فى شئ بل تلكم كلاماً قانونياً

الوداعة لا تمنع من أن تنبه خاطئاً لكى تنقذه من خطأ أو من خطر .

كما قال يهوذا الرسول غير الأسخريوطى " خلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار " (يه ٢٣) . هل إن رأيت صديقاً أو قريباً ، على وشك أن يتزوج زواجاً غير قانونى ، من قرابة ممنوعة ، أو بعد طلاق غير كنسى ، أو بتغيير المذهب و الملة ،أو أنه مزعم أن يتزوج زواجا مدنياً أو عرفياً .. أو ما شاكل ذلك .. هل تمتنع باسم الوداعة عن تنبيهه إلى أن ما ينوى عمله هو وضع خاطئ ؟! .. كلا ، بل أن من واجبك أن تنصحه .. و لكن بإسلوب هادئ . تنبهه ، و لكن فى غير كبرياء و فى غير تجريح . أما إن سكت ، فإن سكوتك سيكون هو الوضع الخاطئ . ليست الوداعة أن تعيش كجثه هامدة فى المجتمع . بل تتحرك ، و تكون لك شخصيتك ، إنما فى أسلوب وديع .. و لو بكلمة واحدة ، كقول المعمدان " لا يحل لك " (مت ١٤ : ٤)

أمامنا أيضاً مثال القديس بولس الرسول " اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً و نهاراً ، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد " (أع ٢٠ : ٣١) .. وداعته لم تمنعه من أن ينذر كل واحد . لكن أسلوبه الوديع ، هو انه كان ينذر بدموع ..

حتى إن اضطر أن يقول كلمة شديدة ...

لقد اعتاد الناس على سماع كلمة شديدة من إنسان وديع . فإن سمعوه يوماً يقول كلمة شديدة ، سيدركون داخل أنفسهم أنه لابد أن سبباً شديداً قد ألجأة إلى هذا . و يكون للكلمة وقعها و تأثيرها فى أنفسهم ..هل تظنون أن الوديع ، قد أعفى من قول الرب لتلاميذه " .. و تكونون اى شهوداً (أع ١ : ٨) . كلا ، فلاشك فحينما يلزم الأمر أن يشهد للحق ، لابد أن يفعل ذلك ..

هل إذا أتيحت فرصة له ، لكى ينقذ شخصاً معتدى عليه ، ألا يفعل ذلك باسم الوداعة ؟!

هل من المعقول أن يقول " و ما شأنى بذلك ؟! " أو يقول " و أنا مالى ، خلينى فى حالى " !! أم فى شهامة ينقذه ، و بأسلوب وديع . كما أنقذ السيد المسيح من الرجم المرأة المضبوطة فى ذات الفعل . و قال للراغبين فى رجمها " من كان منكم بلا خطية ، فليرمها بأول حجر " (يو ٨ : ٧) و فعل ذلك بوداعة دون أن يعلن خطاياهم . بل " كان يكتب على الأرض".

لعل البعض يسأل ههنا : هل يمكن للوديع أن يدين أحداً ؟ و هل هناك أمثلة فى الكتاب لذلك ؟

أمامنا السيد المسيح " (الوديع المتواضع القلب) " (مت ١١ : ٢٩) هذا الذى كان يقول " لم يرسل الآب ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص العالم " (يو ٣ : ١٧) ٠ و قد قال لليهود " أنتم حسب الجسد تدينون ٠ أما أنا فلست أدين أحداً " (يو ٨ : ١٥) ٠ و مع ذلك أكمل بعدها " و أن كنت أنا أدين ، فدينونتى حق " ٠ يسوع المسيح هذا ، الذى قال للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل " و لا أنا أدينك " (يو ٨ : ١١) ٠٠ هو فى مناسبات عديدة ، أدان كثيرين ٠٠ مثلما أدان الكتبة و الفريسيين (مت ٢٣) ٠ و أدان كهنة اليهود (مت ٢١ : ٤٣) قائلاً لهم " إن ملكوت الله ينزع منكم ، و يعطى لأمة تصنع أثماره " ٠ و أدان تلميذه بطرس لما أخطأ ، و قال له من جهة الصليب " حاشاك يا رب " (مت ١٦ : ٢٣) ٠ كذلك فإن القديس بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس " الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف " (١تى ٥ : ٢٠) ٠ فإن قلت هذا هو المسيح يدين و ذاك رسول و ذاك أسقف ، أقول :

هناك مواقف يجد فيها الوديع نفسه مضطراً أن يتكلم ، و لا يستطيع أن يصمت ٠ مثلما فعل

أليهو فى قصة أيوب الصديق و أصحابه :

كان هو الرابع من أصحاب أيوب ٠ وقد ظل صامتاً طوال ٢٨ إصحاحاً من النقاش بين أيوب الصديق و أصحابه الثلاثة إلى أن صمت هؤلاء إذ وجدوا أيوب باراً فى عينى نفسه (أى ٣٢ : ١) و حينئذ يقول الكتاب " فحمى غضب أليهو بن بر خئيل البوزى من عشيرة رام ٠ على أيوب حمى غضبه ، لأنه حسب نفسه أبر من الله ٠ و على أصحابه الثلاثة حمى غضبه ، لأنهم لم يجدوا كلاماً واستذنبوا أيوب " (أى ٣٢ : ٢ ، ٣) ٠٠ كان أليهو إنساناً وديعاً ، ظل صامتاً مدة طويلة فى نقاش بين أشخاص " أكثر منه أياماً " ٠ و لكنه أخير لم يستطيع أن يصمت ٠ ورأى أنه لابد من كلمة حق ينبغى أن تقال ٠ فقال لهم :

" أنا صغير فى الأيام و أنتم شيوخ ٠ لأجل ذلك خفت و خشيت أن أبدى لكم رأيى ٠ قلت الأيام تتكلم ، و كثرة السنين تظهر حكمة " ٠ و لما لم يجد فيهم حكمة ، تكلم ووبخ أيوب ٠ و كانت كلمة الله على فمه ٠ و هو الوحيد الذى لم يجادله أيوب (أى ٣٢ - ٣٧) ٠

هناك أشخاص من حقهم - بل من واجبهم - أن يدينوا ٠

و لا تتعاض إدانتهم مع الوداعة ٠ مثل الوالدين ، و الأب الروحى ، و المدرس بالنسبة ٠ إلى تلاميذ ، و الرئيس بالنسبة إلى مرؤوسيه ٠٠ إن عالى الكاهن أدانه الله لأنه لم يحسن تربية أولاده و يدينهم (١صم ٣) ٠ هوذا الكتاب يقول " لا تخالطوا الزناة " (١كو ٦ : ٩) ٠ فهل تقول " أنا لا أدين هؤلاء " ! إن عدم مخالطتهم ، و عدم مخالطة مجموعات أخرى من الخطاة (١كو ٦ : ١١) ، تحمل ضمناً أدانتهم ٠ كذلك بالنسبة إلى المنحرفين فى التعليم الدينى ، يقول الرسول " إن كان أحد يأتيكم و لا يجئ بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، و لا تقولوا له سلام ٠ لأن ن يسلم عليه ، يشترك فى أعماله الشريرة " (٢يو ١٠: ، ١١) ٠ فهل باسم الوداعة تقبل هؤلاء ؟!

قال الرسول " خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء " (١تى ٥ : ٢٤) ٠ أنت لا تدين ، بل أعمالهم تدينهم ٠ و أنت بكل وداعة تبتعد عنهم ٠

من ثمر الروح
(9)
Chastity التعفف

الذى يحيا حسب الروح ، لابد أن يكون التعفف من ثمر حياته الروحية ٠ فما هو هذا التعفف ؟ و كيف يمكن الوصول إليه ؟

التعفف يشمل عفة الجسد ، و عفة الحواس ٠ النظر و السمع و اللمس) ، و عفة اللسان و عفة الفكر ، وعفة القلب ، و عفة القلم ، و عفة اليد ٠٠

و نود هنا أن نتكلم عن كل بند من هذه البنود ٠٠

عفة اللسان

كل كلمة بطالة ٠

هذه التى قال عنها السيد الرب " كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ، يعطون عنها حساباً فى يوم الدين " (مت ١٢ : ٣٦) ٠ بل اعتبر إنها نجاسة ، فقال " ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ٠ بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس الإنسان " (مت ١٥ : ١١) ٠ و طبعاً الإنسان العفيف لا يتنجس بأية كلمة ٠٠

اللسان العفيف لا يلفظ كلمة شتيمة ، و لا كلمة تهكم ٠

الإنسان العفيف يحترم غيره ، فلا يسئ إليه بكلمة جارحة ، و لا بكلام استهزاء أو احتقار أو ازدراء ، فى أى حديث ، أو فى أى عتاب ٠ و أتذكر أننى فى يوم أربعين الأرشيدياكون حبيب جرجس ، قلت عنه :

لك أسلوب نزية طاهـــــر .:. و لسان ابيض الألفاظ عــف
لم تنل بالذم مخلوقاً و لم .:. تذكر السوء إذا ما حل وصف

لهذا فإن الذى يستخدم الفاظاً جارحه ، أو ألفاظاً قاسية و كأنها كرجم الطوب ، ليس هو بالإنســان العفيف اللسان ٠ فاللسان العفيف لا يشهر بغيره ، و لا يكشف عورة إنسان فى حديثه ، لأن عفتــه تمنعه من ذلك ٠ اللسان العفيف ، هو لسان مؤدب و مهذب ، يزن كل كلمة يلفظ بها ، و لا يحتــاج إلى مجهود لكى يتكلم كلاماً عفيفاً ، لأنه تعود على ذلك ٠ أو هو هكذا بطبعه

و اللسان العفيف لا يتكلم كلاماً نابياً ، و لا يستخدم ألفاظ معيبة من الناحية الخلقية ٠

فلا يتلفظ بكلمات جنسية بذيئة ، و لا يذكر قصصا أو فكاهات جنسية ، و لا يقبل سماعها إن قيلت من غيره ٠ و لا يردد أغانى من نفس النوع ن بل يخجل من النطق بها ، و لا فيما بينه و بين نفسه فى مسكنه الخاص ٠ إنه لا يتدنى إلى هذا الوضع ٠ اللسان العفيف يمنعه أدبه من استخدام لغة لا تتفق و هذا الأدب الذى تعوده ٠

و اللسان العفيف قد تعود أيضاً عفة التخاطب ٠و قد تعود أيضاً على أدب الحوار ٠

فهو لا يقاطع غيره أثناء الحديث معه ، و لا يوقفه عن الكلام لكى يتكلم هو ، و لا يعلو صوته فى الحوار ٠ و لا يحاول أن يقلل من شأن غيره فى الحوار ، لكى - يثبت صحة راية هو ٠ و لا يهين غيره أثناء المناقشة ٠ فكل هذه أمور لا يسمح بها أدبه ٠ و اللسان العفيف - فى حواره - يكون موضوعياً ، لا يتعرض إلى الجوانب الشخصية فى من يتحاور معه ٠ و إنما يكون منطقياً فيما يقول ٠ لا يمكن أن يصف محدثه بالجهل أوعدم الفهم ٠ و لا يكشفه فى هذه النواحى ٠ بل يركز على الموضوع ، موضوع النقاش ٠٠

و عفة اللسان ترتبط بها أيضاً عفة القلم ٠

القلم الذى يراعى كل ما قلناه فيما يكتب ، فلا يشهر بأحد ، و لا يجرح أحداً ، و لا يعمد إلى الإهانة ٠ و لا يشيع عن إنسان ما ليس فيه ٠ بل يحرص على أعراض الناس ، و يرى أن سمعتهم أمانة لا يمكن لقمه أن يتجاوزها ٠ بل هو يكتب بموضوعية نزيهة ٠

و هنا نرى عفة النقد و نزاهته ٠

النقد العادل ، البرئ ، الموضوعى ، الذى يهدف إلى الحق ٠ و يزن الأمور بميزان سليم ٠ يذكر النقط البيضاء أولا قبل غيرها من النقاط التى لا يوافق عليها ٠ و هكذا يعطى كل ذى حق حقه ٠ وفى نقده لا يدخل فى نوايا الناس و فى دواخلهم التى لا يعرفها إلا الله وحده ٠

على أننى أقول دائما إن خطية اللسان هى خطية ثانية ٠

فاللسان غير العفيف ، تكون عدم عفته خطية ثانية ، تابعة لأخرى قد سبقتها و هى عدم العفة فى القلب ، التى كانت نتيجتها عدم عفة اللسان ٠ و ذلك طبقاً لقول السيد الرب " الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ٠ و الإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ٠ لأنه " من فضلة القلب يتكلم اللسان " (لو ٦ : ٤٥) ٠ هذا ينقلنا إلى الحديث عن عفة القلب و عفة الفكر ٠

هذه العفة الداخلية ، يبنى عليها كل تعفف من الخارج ٠ و فى هذا قال الكتاب " فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة " (أم ٤ : ٢٣)

عفة القلب هى عفة المشاعر و العواطف و الأحاسيس ، و عفة المقاصد و النيات و الرغبات ٠٠

و من عفة القلب تصدر عفة الفكر ، و عفة اللسان ، كما تصدر أيضاً عفة الحواس ٠ فكلها خارجة من مصدر واحد ٠ لذلك إن وجدت فكرك قد بدأ يسير فى مجرى غير عفيف ، أسرع و قامه ٠ وأوقفه قبل أن يتطور إلى أجهزتك الأخرين ٠ و هكذا يعبر الفكر عن ذاته ، عن طريق اللسان أو الحواس أو العمل ٠

عفة الفكر و القلب تتعلق أيضاً بعفة العقل الباطن ٠

فالعقل الباطن يعمل عن طريق المخزون فيه من أفكار ، و من رغبات و صور و مشاعر ٠٠ فإن كان المخزون فى العقل الباطن غير عفيف ، حينئذ يظهر ذلك فى أحلام غير عفيفة ، و فى ظنون و أفكار من نفس النوع ٠ مثلما قيل فى سفر التكوين عن الشجر الذى ينتج بذراً كجنسه (تك ١ : ١١ ، ١٢) ٠ فليحرص كل إنسان إذن على عفة قلبه و فكره ، بما يدخل فيهما من روحيات ، و من محبة للخير و للعفة ، حتى يصبحان مصدراً لكل من عفة اللسان ، و عفة الحواس و ن و عفة الجسد

عفة الجسد هى بعده عن كل شهوة جسدية رديئة ، أو كل شهوة تتعلق بمحبة هذا العالم المادى ٠

و قد تعرض القديس يوحنا الرسول لهذا الأمر ، فقال فى رسالته الأولى " لا تحبوا العالم و لا الأشياء التى فى العالم ٠٠ لأن كل ما فى العالم : شهوة الجسد ، و شهوة العين ، تعظم المعيشة ٠٠ " (١يو ٢ : ١٥ ، ١٦) ٠

و شهوة الجسد تشمل الزنى بكل أنواعه ٠ كما تشمل محبة الراحة و البطنة

و تشمل أنواعاً كثيرة مما يشتهيها الجسد ، و لكن أخطرها الزنى ٠ و الإنسان العفيف يبذل كل جهده للبعد عن شهوات الجسد ٠٠

فهو لا يشتهى ، و لا يثير الشهوة فى غيره ٠٠

و إن حورب بإغراء ضد عفة الجسد ، يحارب ذلك بكل قوته ٠٠يحارب عدم العفة بقلب طاهر ، و بإرادة قوية ، و لا يسلم سلاحه ابداً ٠ ما أعظم قول بولس الرسول للعبرانيين موبخاً " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مقاومين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) ٠٠ مقاومة صادقة ، مهما كانت الظروف الخارجية ضاغطة ٠٠

القلب العفيف هو العامل الأساسى فى عفة الجسد ٠

و مثالنا هو يوسف الصديق ، الذى كانت الخطية تضغط عليه من الخارج ، و تلح عليه كل يوم ، و من سيدته التى كان لها سلطان عليه ، و تستطيع أن تؤذيه إذا رفض ٠ و لكنه احتفظ بعفة جسده ، بسبب عفة قلبه ، و بسبب أنه كان يضع الله أمامه فى كل ما يفعل ٠ و بسبب مبادئه الروحية التى كانت تؤمن بالعفة ٠ فقال : كيف افعل هذا الشر العظيم ، و أخطئ إلى الله ؟! " (تك ٣٩ : ٩ ، ١٠) ٠

إذن العفة لا تتوقف على الوسط الخارجى ، إنما على حالة القلب الداخلية و مدى عفة القلب ٠

لقد نجح يوسف الصديق ، و لم يكن قد ارتبط بعد بزواج يحصنه من الخطية ، و لم ينجح داود الملك الذى كانت له سبع زوجات وقتما حاربته إغراء الخطية ٠ و السبب كان هو حالة القلب الداخلية : هل هو قلب عفيف يتسامى و يعلو فوق الإغراء ، مثل قلب يوسف العفيف ٠٠ أم هو قلب ضعيف من الداخل ٠ تأتيه حروب الخطية فى وقت يكون فيه محباً لها و غير متمسك بالعفة ، كما حدث مع داود ٠

عفة الجسد أيضاً ترتبط بالحشمة و عفة الملبس ٠

و عفة الملبس بالنسبة إلى المرأة تتعلق أحياناً بكشف جسدها بطريقة غير عفيفة : إما بملابس فيها لون من العرى الجسدى يكشف أجزاء من جسدها ، أو بملابس ضاغطة ، أو بملابس شفافة ٠ و كلها تؤدى إلى نفس النتيجة ، تكون معثرة ٠

و قد تبرر المرأة هذا بأنه إظهار لأنوثتها ٠ و فى الواقع إنه إظهار لعدم عفتها ٠

مهما حاولت أن تدعى بأن هذه هى الموضع السائدة ٠ لأنه لا يصح أن تسود الموضة على الروح ٠ أو تكون وصايا مصمى الموضة أهم من وصايا الله ٠٠ و المرأة المحتشمة لا تقبل مطلقاً أى زى جديد يتنافى مع الحشمة ، أو يسبب عثرة لأحد ٠

و إن فعلت هذا فى أى مكان ، لا يجوز مطلقا أن تدخل إلى الكنيسة بزى غير محتشم ، و بخاصة فى وقت التناول من الأسرار المقدسة ٠

و قد تتنافى مع العفة أيضاً ألوان من الزنية و المساحيق ٠

و معروف ما قاله القديس بطرس الرسول عن الزنية الجسدية ٠ و قد فضل عليها " زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثير الثمن " (١بط ٣ : ٤)

نحن لا ننكر على المرأة أن تتحمل ٠ و لكن يسمح لها بذلك فى حدود التجمل غير المعثر ٠٠

و قد يتفق مع التعفف ايضاً أسلوب المشى و الحركة و نوعية الصوت ٠

فالمفروض أن تشمل العفة كل اسلوب حياتها ، و أن تبعد عن كل تصرف يثير مشاعر خاطئة بالنسبة إلى غيرها ٠٠لعل المرأة تقول إن الرجل الذى يثار هو إنسان ضعيف ليس عفيفاً كما ينبغى ٠٠ و ربما يكون هذا صحيحاً ٠ و لكن عليها أن تراعى ضعف الضعفاء ، فلا تعثرهم ٠ و قد قال القديس بولس الرسول " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء ، و لا نرضى أنفسنا " (رو ١٥ : ١)

نحن مطالبون ليس فقط بعفة أنفسنا ٠ و إنما بالعمل على عفة غيرنا ، فلا يفقدون عفتهم بسببنا ٠

و قد جاء الحديث عن العثرة ٠ و قال السيد الرب فى ذلك " ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة " (مت ١٨ : ٧) " خير له لو طوق عنقاقه بحجر رحى و طرح فى البحر ، من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار " (لو ١٧ : ١ ، ٢)

فعلى المرأة - كما على الرجل أيضاً - مراعاة عفة العنصر الآخر ، فلا يكون سبباً لمحاربته فى عفته

المرأة بجمالها و أنوثتها ٠ و الرجل بإغرائه و عواطفه ووعوده ٠٠ و كذلك بالصداقة و الألفة ، التى تبدأ أولاً بريئة ، أو تبدو بريئة ، ثم تنتهى إلى عكس ما بدأت به ٠٠

و عفة الجسد ينبغى أن تحفظ حتى فى غرفة الإنسان الخاصة ٠

سواء فى طريق جلوس الإنسان أو طريقة نومه ، أو فى حشمته بصفة عامة ٠ فالذى يحتفظ بحشمته فى غرفته الخاصة ، سوف يحتفظ بنفس الأسلوب العفيف حينما يغادر غرفته و يختلط بالناس ٠ أما الذى يسلك بغير عفة مسكنه ، لا شك أن عدم العفة سوف تتعبه اينما ذهب ٠٠ التعود لازم ، و يبدأ مع الذات ٠

حتى فى العلاقات الزوجية ، ينبغى أن تحفظ العفة ٠

و فى هذا يقول القديس بولس " ليكن الزواج مكرماً عند كل أحد ، و المضجع غير دنس ٠ أما العاهرون و الزناة ، فسيدينهم الله " (عب ١٣ : ٤) ٠ إن الحلال مقبول ٠ لكن لا يصل إلى التسيب ، الذى قد يتنافى أحياناً مع العفة ٠ و هذا ما قصده الرسول بأن يكون المضجع غير دنس ٠ عفة الجسد تقودنا إلى الحديث عن عفة الحواس ٠ و نعنى بها بوجه خاص عفة النظر و السمع و اللمس ٠

عفة النظر تكون فى البعد عن كل نظرة شهوانية ٠

و لعل هذا ما قصده القديس يوحنا بعبارة " شهوة العين " (١يو ٢ : ١٦) ٠ و هذا أيضاً ما قصده أيوب الصديق حينما قال " عهداً قطعت لعينى ٠ فكيف اتطلع فى عذراء ؟! (أى ٣١ : ١) ٠ بل هذا ما قاله الرب " إن كل من ينظر إلى إمرأة لبشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه "

إذن عدم عفة القلب تؤدى إلى عدم عفة النظر ٠

الإنسان العفيف تكون نظرته إلى أية إمرأة ، هى نظرة عفيفة لا خطيئة فيها ٠ و لكن يبدأ عدم العفة حينما يتلوث القلب من الداخل ٠

هذا هو الذى حديث مع إمرأة فوطيفار ٠ يقول الكتاب إنها " رفعت عينيها إلى يوسف ، (تك ٣٩ : ٧) ٠ إنها بلا شك كانت تراه كل يوم ٠ و لكنها فى ذلك الوقت بدأت تنظر غليه بطريقة أخرى ، بقلب دخلته الشهوة ٠

حدث مثل ذلك و بمعنى آخر ، مع أمنا حواء بالنسبة إلى شجرة معرفة الخير و الشر ٠ كانت الشجرة فى وسط الجنة (تك ٣ : ٣) ٠ و لا شك أن حواء كانت تمر عليها كل يوم و تراها ، و لكن بقلب عفيف لا يشتهيها ٠ إذن فمتى بدأت المشكلة ؟ بدأت حينما تغير قلب حواء من الداخل بإغراء الحية التى قالت لها " لن تموتاً ٠٠ تصيران مثل الله " تنفتح أعينكما " (تك ٣ : ٤ ، ٥) ٠٠ حينئذ " رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، و أنها بهجة للعيون ، و أن الشجرة شهية للنظر " (تك ٣ : ٦) ٠ من أين أتت هذه الشهوة نحو الشجرة ؟ أتت من تغير القلب من الداخل ٠٠

الإنسان العفيف ينظر بغير شهوة ، بل فى استحياء ٠٠

ليس فى الأمور الجنسية وحدها ، بل أيضاً من جهة نظرة الإحترام نحو هو أكبر منه ٠ فلا يجرؤ أن الابن ينظر إلى أبيه بغير حشمة ، بل فى توقير شديد ٠ و قد لا يجرؤ أن يرفع عينيه إليه ، أو أن ينظر نظرة تحد ٠٠ قيل عن القديس الأنبا بيجيمى أنه عاش ١٨ سنة مع شيوخ قديسين فى الدير ، لم يجرؤ خلال ذلك أن يرفع بصره ليملأ عينيه من واحد منهم ٠

هناك نظرات أخرى غير متعففة (من نوع آخر) ٠

مثل النظرات المتجسسة الفاحصة ، التى تريد أن تسير غور من أمامها و تفحص دواخله و تعرف أسراره ، أو تؤثر عليه ٠

الأذن العفيفة هى التى لا تتصنت على غيرها ٠

أما التى تتسمع لتعرف اسراراً ليس من حقها أن تعرفها ، فهى إذن ليست عفيفة ٠٠ إنها تسرق أخباراً ، تدخل إلى خصوصيات الناس بغير حق ٠ و لا يمكن أن يفعل هذا إنسان مهذب ٠٠
كذلك فإن الأذن التى تلتذ بسماع أحاديث شهوانية ٠
أو بسماع فكاهات أو أغان جنسية ، هى أذن غير عفيفة ٠٠ بل تصرفها هذا نسميه (زنى الآذان) ايضاً من الآذان غير العفيفة ، الأذن التى تلتذ و تستمتع بسماع مذمة الغير ، أو أخبار عن سقوط أو فشل من تعاديهم ٠ فهذا نوع من الشماته ، ى يتفق مع العفة ٠ و قد قال الكتاب فى ذلك لا تفرح بسقوط عدوك ، و لا يبتهج قلبك إذا عثر ٠ لئلا يرى الرب ويسوء ذلك فى عينيه ، (أم ٢٤ : ١٧ ، ١٨) ٠ إن هذا بلا شك لون من الشماته ٠ و الأذن التى تلذ لها الشماتة ، ليست اذناً عفيفة ٠

اليد العفيفة لا تمتد إلى ما لغيرها ، لا بسرقة أو نشل ، و لا بأى لون من اغتصاب حقوق الغير ٠ كذلك لا تعتبر يداً عفيفة التى تفرح بربح غير جائز ٠ قال عنه الكتاب" طامع بالربح القبيح " (١تى ٣ : ٣) ٠ و يدخل فى هذا الأمر : الربا الذى يفرضه الرابى على الفقراء المحتاجين ٠ احتكار بعض التجار سلعاً معينة فى السوق ، أو فرض أسعار عالية مجحفة بمن يشترى ٠ فتمتلئ أيدى كل هؤلاء من مال أخذوه من تعب الناس و احتياجهم ٠ و كما قلت عن ذلك فى إحدى القصائد :

خطفوه من فم الجوعان بل .:. من رضيع لم يوفوه فطاما

و من عفة اليد أيضاً العفة فى الطلب ٠

حيث يستحى الإنسان العفيف أن يمد يده ٠ و إذا أعطى قد يستحى ايضاً أن يأخذ ٠ بينما الإنســان غير العفيف قد يطالب ما لا يستحقه ، و كأنه حق قد سلبه منه من يعطى ٠ و حينما يعطى قد يستقل ما يأخذه ، فيرجعه أو يطلب بأكثر ٠ من أمثلة هؤلاء من يطالب الله بحقوق !!
وكالابن الضال الذى طلب من أبيه نصيبه فى الميراث (لو ١٥) ٠

الفهرست

	صفحة
مقدمة	٥
من ثمار الروح :	
١-المحبة	٧
٢-الفرح	١٣
٣-السلام	٢١
و فى السلام الداخلى الإطمئنان و عدم الخوف	٢٩
٤-طول الأناة	٣٥
أ-عند الله	٣٥
ب-عند البشر	٤١
٥-اللطف	٤٧
٦-الصلاح	٥٥
٧-الإيمان	٦٣
٨-الوداعة	٧١
هل تتنافى الوداعة من الشجاعة و الشهامة	٨٠
٩-التعفف	٨٧